القدوة

وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى

أ. د/ إسماعيل علي محمد
أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
في كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر - المنصورة

دار الكلمة
للنشر والتوزيع

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القـدوة
وأثـرهـا
في الدعوة إلى اللّه تعالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م

بطاقة الفهرسة

محمد، إسماعيل علي

القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.

تأليف أ.د/ إسماعيل علي محمد.

دار الكلمة للنشر والتوزيع - القاهرة .

ط ٢. ١٤٣٥ هـ ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٩٩/١١١٠٠

الترقيم الدولي: ١ - ٠٢٨ - ٣١١ - ٩٧٧

دار الكلمة للنشر والتوزيع القاهرة

القاهرة . محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥

E-mail:mmaggour@hotmail.com

E-mail:daralkalema_pdp@hotmail.com

www.facebook.com/DarAlkalema

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القـــــدوة

وأثرها في الدعوة إلى اللّه تعالى

أ.د/ إسماعيل علي محمد
أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
في كلية أصول الدين والدعوة
جامعة الأزهر - المنصورة

دار الكلمة
للنشر والتوزيع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الدعاة وخاتم النبيين، وأسوة المتقين، سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، والمهتدين بهديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القدوةَ الصالحةَ من أعظم وأهمّ وسائل نشر الإسلام وتبليغه وتعليمه للناس، والداعية المسلم عنوان لدعوته، وسفير لدينه في كل مكان، والناس دائمًا يجعلونه محل نظرهم، وموضع مراقبتهم، وليس شيءٌ أجملُ في نظرهم من مظهر داعيةٍ ملتزمٍ بالإسلام، عاملٍ به، مطَبّقٍ لما يدعو إليه، فإذا كان الداعية كذلك؛ فقد حاز رضا الله، وأحبّه الناس ووقّروه، وأقبلوا عليه وعلى دعوته، وإلا سقط من أعينهم، ونفَروا منه، وحلّ عليه سخط الله، وخسر خسرانًا مبينًا، وكسَدت دعوتُه كَسادًا شنيعًا.

والإسلام اليومَ أحوجُ - من أيّ عصرٍ مضى - إلى دعاة صالحين؛ تتجسد فيهم، ومن خلال سلوكهم وتصرفاتهم مبادئُ الدين الذي يدعون إليه، ومضامينُ الدعوة التي يعملون في ميدانها، كي تتبددَ معالمُ الصورةِ الشائهةِ التي حاول خصوم الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج أن يرسموها للإسلام، وليحوِّلوا - من خلال التزامِهمُ العمليِّ بالإسلام - مبادئَه الساميةَ من حيّز التجريد والنظرية، إلى واقع التطبيق والنماذج العملية، فيُثبِتوا للناس قابليةَ مبادئِ الإسلام، وصلاحيةَ منهجِه للتطبيق، وجدارتَه بإسعاد البشر.

هذا؛ والتاريخ يشهد بكل الفخر والاعتزاز بأن القدوةَ الصالحةَ كان لها أحسن الآثار، وأطيب الثمار في ميدان الدعوة الإسلامية؛ حيث كانت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ـ ولا تزال ـ سبيلًا ممهِّدةً لنشر الإسلام على أوسع نطاق.

من هنا؛ فإن حاجتَنا إلى الداعية المسلمِ القدوةِ أكيدةٌ، والعملَ على إيجاده ضرورةٌ مُلِحّةٌ، وواجبٌ محتَّمٌ، في حق كلِّ مَن يستطيعون ذلك.

ولهذا وغيره كان هذا البحث المتواضع ـ « القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى » ـ تذكيرًا لي ولإخواني على طريق الدعوة، وجهدًا أرجو من الله تعالى أن يجعله عملًا صالحًا، ولوجهه خالصًا، وأن يعمَّ به النفع.

وقد اشتمل البحث على تمهيد ذَكرتُ فيه مفهومَ كلٍّ مِن القدوة والدعوة، ثم خمسةِ فصول، بيّنْتُ فيها وجوبَ التزامِ الداعيةِ بالقدوة، وضرورةَ ذلك شرعًا وعقلًا، ثم تحدثْت عن مجالات القدوة، كما أشرت إلى بعض الأمور المعينةِ على التحقّق بالقدوة، ثم تحدثْت عن آثارها حالَ تحقُّقِها، وحالَ غيابِها، ثم كان الختام بذكر صورٍ مشرقة، ونماذجَ وضّاءةٍ من القدوة على طريق الدعوة إلى الله تعالى.

اللهم اهدِنا وسدِّدْنا، ووفِّقْنا لما يُرضيك عنا.

وكتبه: أبو عمر

أ. د/إسماعيل علي محمد

ضحى الخميس: ١٣من جُمادَى الآخِرة ١٤٢٠هـ

٢٣ من سبتمبر ١٩٩٩م

في: كفر حماد ـ كفر صقر ـ الشرقية. مصر

*****

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيـــــــد
مفهوم القدوة والدعوة

يَحسُن بنا في البداية أن نعرِض ـ بإيجاز ـ لمفهوم كلٍّ من القدوة، والدعوة إلى الله تعالى، وما نقصده بهما في بحثنا هذا، على النحو التالي:

أولا : القــدوة:

قال ابن فارس: (قَدَوَ) : القافُ والدالُ والحرفُ المعتلُّ أصلٌ صحيحٌ يدل على اقتباسٍ بالشيء واهتداء، ومُقَادَرَةٍ في الشيء حتى يأتيَ به مساويًا لغيره .. وفلان قدْوة [بضم القاف وفتحها] : يُقْتَدى به [1].

وقال الأزهريُّ: ويقال: قِدْوة وقُدوة لما يُقْتدى به، والقِدَى: جمع قِدْوة، ولي بك قُدْوة مثل: حَظِي فلانٌ حِظْوة وحُظْوَة وحِظَة، وداري حِذْوَةُ دارِك وحُذْوةٌ وحِذَتُه.

وأقْدَى إذا استوى في طريق الدين، وأقْدَى أيضًا، إذا أسنّ وبلغ الموت، وأقْدى: إذا قدم من السفر، وأقدى إذا استقام في الخير.

ويقال: مرّ بي يتقدَّى به فرسُه، أي يلزم سَنن السِّيرة، وتَقَدِّي الفرسِ: استعانَتُه بهاديه في مَشيْه، برفْع يديْه وقبْضِ رجليْه شِبهَ الخَبَب.

والقَدْوَة [بفتح القاف]: التقدُّم، ويقال: فلانٌ لا يُقَاديه أحدٌ ولا يُهاديه

---

(1) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٥/ ٦٦، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت . ط الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولا يُباريه، ولا يجاريه أحد، وذلك إذا بَرَزَ في الخِلال كُلِّها [٢].

وقال الخليل: القَدْوُ: الأصل الذي انشعب منه الاقتداء، وبعضُهم يَكْسِر فيقول: قِدْوة، أي: به يُقتدَى [٣].

و قال القرطبيُّ: «الاقتداء: طلب موافقة الغير في فعله» [٤].

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نعرِّف القدوة بأنها:

السمات والخصال، والأعمال التي تصدر عن أحد الناس، وتكون موضعَ اقتداءٍ ومحاكاةٍ مِن غيره.

ويمكن أن يُقصَد بالقدوة: الشخصُ نفسُه، باعتبار أنه هو القائمُ بعملِ ما يُقتدَى به، وأنه مَصدَرُ ذلك.

فالقُدوة تطلق على الفعل أو الشيء الذي يُراد اقتباسُه ومحاكاتُه وتقليدُه والتشبُّه به، وتطلق أيضا على الشخص الذي يَصدُر عنه ذلك الفعل، أو ينبعث منه ذلك الشيءُ المرادُ اقتباسُه والاهتداءُ به.

ونقصد بها هنا: ما يكون عليه الداعية المسلم من سلوك تطبيقيٍّ، وتصرفاتٍ عمليةٍ، وصفاتٍ أخلاقيةٍ، يظهر بها في حياته، فيكون سلوكه

---

(2) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ٩/ ٢٤٤ ـ ٢٤٦ باختصار. تحقيق عبد السلام هارون، محمد علي النجار. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(3) كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ ٥/ ١٩٥، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت. ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(4) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمدِ بنِ أحمدَ الأنصاريّ القرطبيّ ٧/ ٢٥. دار الكتب العلمية. بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتصرفاته وصفاته صورةً صادقةً، وتطبيقًا صحيحًا لما يدعو إليه من مبادئِ دينه، وتوجيهاتِ دعوته، وبهذا يكون قدوةً صالحةً، وأسوةً حسنةً تَهدِي إلى أقومِ طريق، وتُرشِد إلى خيري المعاش والمعاد.

ثانيا: الدعوة إلى الله تعالى:

ويقال: «دعا الرجلَ دعْوًا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودَعوْتُ فلانًا، أي: صِحْتُ به واستدعيتُه.

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعةٍ هدىً [كانت] أو ضلالةً، واحدُهم داعٍ، ورجلٌ داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعةٍ أو دينٍ، أُدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي ﷺ داعي الله تعالى، وكذا المؤذِّن» (٥).

«ودعاه إلى الشيء حثَّه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى المذهب: حثّه على اعتقاده» (٦).

ونقصد بالدعوة إلى الله تعالى: الدعوةَ إلى الإسلام الذي ارتضاه الله سبحانه للعالمين دينًا وشِرعة ومنهاجًا، أي القيام بتبليغه ونشرِه وتعريفِ الناس به، وحثِّهم على اعتقاده والالتزام به.

وللدعوة إلى الله تعالى ـ بهذا المعنى ـ أكثرُ من تعريف، ومِن أجْمع ما عُرِّفت به ـ فيما أرى ـ تعريفُ شيخي الأستاذ الدكتور «أبي المجد نوفل» ـ يرحمه الله ـ بأنها: «قيامُ مَن عنده أهليّةُ النصحِ الرشيدِ، والتوجيهِ السديدِ من المسلمين في كل زمان ومكان، بترغيب الناسِ في الإسلام اعتقادًا

(5) لسان العرب. محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري ٢/ ١٣٨٦، دار المعارف. مصر.

(6) المعجم الوسيط ٢/ ٧٤٨، مجمع اللغة العربية، القاهرة. ط الثالثة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومنهجًا، وتحذيرِهم من غيرِه، بطُرقٍ مخصوصة» [٧].

وذلك لأن هذا التعريفَ يشمل الأصولَ والأركانَ التي تقوم عليها الدعوةُ الإسلامية، ولا يُتصوّر وجودُها أو تحقُّقُها في حال غياب هذه الأصول أو بعضها، وهي: الداعي، والمدعو، وموضوعُ الدعوة، ومنهجُ الدعوة.

وهناك ألفاظ ومصطلحات مرادفة للدعوة إلى الله تعالى، وتتصل بها، مثل الدعوة الإسلامية ـ بمعنى تبليغ الإسلام ونشره ـ، والنصيحة، والإصلاح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والموعظة الحسنة، ونحو هذا من المصطلحات التي تفيد معنى الدلالة على الخير، والأخذ بيد الناس إلى صراط الله رب العالمين.

*****

(7) من أساليب الدعوة في القرآن والسنة؛ الأساليب العقدية، د/ أبو المجد السيد يوسف نوفل، ص ٢٧ . ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول
وجوب التزام الداعية بأن يكون قدوة

إن التزام الداعية المسلم بأن يكون قدوة صالحة على طريق الدعوة إلى الله تعالى؛ أمر يوجبه الشرع، ويفرضه الدين، وكذلك تحتمه العقول السليمة، وتراه ضروريا لإنجاح الدعوة الإسلامية، وبلوغ أهدافها المرجوة، والتمكين لمبادئها كي تسود وتطبّق في دنيا الناس.

وجوب تحلي الداعية بالقدوة شرعًا:

لقد أكدت نصوص القرآن والسنة على وجوب التزام الداعية بتطبيق ما يدعو إليه، ورغّبت في ذلك، وحذّرت تحذيرًا قاطعًا من مخالفته، كما أجمع العلماء سلفًا وخلفًا على وجوب هذا الأمر، ولزومِه في حق من يتصدى للدعوة إلى الله على وجه الخصوص.

قال الله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [الشورى: ١٥].

أي: «فإلى ذلك الدين الذي شَرَع لكم، ووصّى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادْعُ عبادَ الله، واستقِم على العمل به، ولا تَزِغْ عنه، واثبُت عليه كما أمرَك ربُّك بالاستقامة، ولا تتّبع يا محمد أهواءَ الذين شكُّوا في الحقّ الذي شرَعَه اللهُ لكم من الذين أُورِثوا الكتابَ من بعد القرون الماضية قَبْلَهم، فتَشُكَّ فيه، كالذي شَكُّوا فيه» (٨).

---

(٨) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري ٢١/ ٥١٦، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال عز وجل: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ [هود: ١١٢].

«يعني فاستقم يا محمد على دين ربِّك والعملِ به والدعاءِ إليه كما أمَرَك ربُّك، والأمرُ في ﴿ فَٱسْتَقِمْ ﴾ للتأكيد؛ لأن النبي ﷺ كان على الاستقامة لم يزَلْ عليها، كقولك للقائم: قُمْ حتى آتيَك، أي: دُمْ على ما أنت عليه من القيام حتى آتيَك، ﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ يعني ومَن آمَنَ معك مِن أُمّتِك فلْيَستقيموا أيضا على دين الله والعملِ بطاعته. قال عمر بن الخطاب: الاستقامةُ أن تستقيمَ على الأمر والنهي، ولا تَرُوغَ منه رَوَغانَ الثعلب، وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ الله الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ؛ قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ»(٩).

ولقد عاب الله جل شأنه على أهل الكتاب، وعلى كل من كان مِثلَهم أن يأمروا الناس بالخير ويدعوهم إليه؛ من غير أن يأتمروا بذلك، ولا أن يلتزموا به، فقال سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

والمعنى: «كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير؛ أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به،

(٩) لُباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن ٢/ ٥٠٥، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية. بيروت. ط الأولى ١٤١٥هـ. وحديث «قُلْ: آمَنْتُ بِالله، ثُمَّ اسْتَقِمْ»: أخرجه مسلم في صحيحه، والنسائي في السنن الكبرى، وأحمد في المسند.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلَمون ما فيه على من قصّر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتهوا من رَقْدتكم، وتتبصروا من عَمايتكم.

وقال ابن جريج: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾: أهلُ الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويَدَعون العمل بما يأمرون به الناس، فعيّرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشدَّ الناس فيه مسارعة.

والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المرادُ ذمَّهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع مَن أمَرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، فكلٌّ مِن الأمر بالمعروف وفِعْلِه واجبٌ لا يَسقط أحدُهما بترك الآخر على أصح قولَيِ العلماء من السلف والخلف»[١٠].

وهكذا يوبّخ الله أولئك القومَ لتركهم العمل بما يدعون إليه الناس، ويُشنِّع عليهم، ويقبِّح مسلكَهم .

« ثم إن هذا التوبيخَ والتقريعَ ـ وإن كان خطابًا لبني إسرائيل ـ إلا أنه عام ـ من حيث المعنى ـ لكل واعظ يأمر ولا يأتمر، ويزجر ولا ينزجر،

(10) تفسير القرآن العظيم، للحافظ إسماعيل ابن كثير ١/ ٨٥ باختصار، دار الغد العربي، القاهرة. ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ينادي الناس البِدارَ البِدارَ، ويرضى لنفسه التخلف والبوار، ويدعو الخلق إلى الحق، وينفِّر عنه، ويطالب العوامَّ بالحقائق ولا يُشَمّ ريحُها منه، وهذا هو الذي يُبْدَأ بعذابه قبل عبَدة الأوثان، ويَعظُم ما يَلقَى لِوُفور تقصيره يوم لا حاكم إلا المِلكُ الديّان »[11].

ولقد شبه اللهُ تعالى اليهودَ الذين عرَفوا التوراة وصاروا بها عالمين، ثم تركوا العمل بأحكامها؛ بالحمار الذي ثُقِل كاهلَه كتبُ العلم العظيمةُ، وليس له من ذلك إلا ثِقَل الحمل، فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة : ٥] .

« يقول تعالى ذامًّا لليهود الذين أُعطُوا التوراةَ وحُمِّلوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها، مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا، أي كمثل الحمار إذا حُمِّل كتبًا لا يدري ما فيها، فهو يحمل حِمْلا حِسّيا ولا يدري ما عليه، وكذلك هؤلاء في حَملهم الكتابَ الذي أوتوه، حَفِظوه لفظًا ولم يتفهّموه ولا عملوا بمقتضاه، بل أوّلوه وبدّلوه وحرّفوه، فهم أسوأ حالًا من الحمير؛ لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فُهوم لم يستعملوها، ولهذا قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

وقال تعالى ها هنا: ﴿ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥][12].

---

(11) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للعلامة محمود الآلوسي البغدادي ١/ ٢٤٨، دار إحياء التراث العربي. بيروت.

(12) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتلك الصورة المزرية، والمكانة الوضعية لا تختص بالذين حُمِّلوا التوراة ثم ضيعوها وتركوا العمل بما فيها وحدهم؛ بل يشترك معهم فيها كلُّ صاحبِ علمٍ ودعوةٍ تخالف أفعالُه أقوالَه ـ والعياذ بالله تعالى ـ .

ولم يَرْضَ اللهُ تعالى للمؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون، وجعل سبحانه ذلك أمرًا شنيعًا لا ينبغي لأحد أن يقارفه، فقال جل شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ * كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣] .

«واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض وأبلغه، ومنه نكاح المقت، لِتزوُّجِ الرجلِ امرأةَ أبيه، ولم يقتصر على أن جعل البُغض كبيرًا حتى جُعِل أشَدَّه وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كِبَرُ مقتِه عند الله تعالى الذي يحقرُ دونه سبحانه كلُّ عظيم؛ فقد تم كِبَرُه وشِدّتُه وانزاحت عنه الشكوك»[(١٣)].

ولِما للقدوة من أهمية في حياة الدعوة والداعية، ولوجوب الالتزام بها شرعًا قبل كل شيء؛ فقد حرَص النبيُّ ﷺ على التحلي والتحقق بها، وضرب في هذا أروعَ مثلٍ وأعظمَه أمام المدعوين.

ففي حَجة الوداع وعلى رؤوس الأشهاد، حين أعلن النبي ﷺ تحريمَ الربا وإبطالَ دماءِ الجاهلية؛ بدأ ﷺ بنفسه قبل كلِّ أحدٍ من الناس، فقال ﷺ في خطبته يوم ذاك: « ألا إن كل شيء من أمْر الجاهلية تحت قدمَيّ موضوع[(١٤)]، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دمٍ أضع من دمائنا دمُ ابنِ

(13) روح المعاني ٢٨/ ٨٤ .

(14) أي باطل.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ربيعة بنِ الحارث، كان مُسترضَعًا في بني سعد فقتَلتْه هـذيل، وربـا الجاهليـة موضوع، وأول ربا أضع ربانا؛ ربـا عبـاسِ بـنِ عبـدِ المطلـب، فإنـه موضـوعٌ كلُّه»(١٥).

قال الإمام النوويُّ: «في هذه الجملة إبطالُ أفعالِ الجاهليـةِ وبيوعِهـا التـي لم يتصل بهـا قـبْض، وأنـه لا قِـصاص في قتلهـا، وأن الإمـام وغـيرَه ممـن يـأمر بمعروف أو ينهى عن منكر؛ ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبوله، وإلى طيب نفسِ مَن قرُب عهدُه بالإسلام »(١٦).

وقد جاء الوعيد الشديد في السنة المطهرة لمن يـدعو إلى الخير ولا يـتحلى به، أو ينهى عن المنكر ولا يتخلى عنه.

عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يـؤتَى بالرجـل يومَ القيامة، فيُلقَى في النار، فتندلق أقتـابُ بطنِـه(١٧)، فيـدورُ بهـا كـما يـدور الحمار بالرَّحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولـون: يـا فـلان مالَـك! ألم تكـن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى قـد كنـت آمـر بـالمعروف ولا آتيه، وأنهَى عن المنكر وآتيه »(١٨).

---

(15) جزء من حديث «جابر» الذي يروي فيه حَجّةَ النبي ﷺ، أخرجه مسلم في ك الحج. ب حَجة النبي ﷺ. مسلم بشرح النووي ٨/ ١٨٢ ـ ١٨٣ رقم ١٢١. دار الريان. القاهرة.

(16) السابق ٨/ ١٨٢.

(17) الإنْدِلَاقُ: خُروج الشَّيء مِنْ مَكَانِهِ، يُرِيد خُروج أمْعَائه مِنْ جَوْفه. النهاية في غريب الحديث والأثر. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري بن الأثير ٢/ ١٣٠، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية. بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. والأَقتاب: الْأَمْعَاءُ، واحِدها: قِتْب بِالْكَسْرِ. السابق ٤/ ١١.

(18) رواه البخاريُّ في ك الفتن، ب الفتنة تموج كموج البحر، فتح الباري بشرح صحيح =

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن عِمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أَخْوَف ما أخاف عليكم بعدي كلُّ منافقٍ عليمِ اللسان» (١٩).

وقد رُوِي في بعض الأحاديث تفسيرُ قوله ﷺ: «منافق عليم اللسان» بأنه: الذي «يقول ما تَعرفون، ويعمل ما تُنكرون» (٢٠).

وعن الوليد بن عقبة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ناسًا من أهل الجنة يتطلعون إلى ناس من أهل النار، فيقولون: بما دخلتم النار، فو الله ما دخلنا

=البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣/ ٥٢ رقم ٧٠٩٨، دار الريان. القاهرة. ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ومسلم (وهذا لفظه) في ك الزهد، ب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله. شرح النووي ١٨/ ١١٧-١١٨ رقم ٢٩٨٩. وأحمد ٦/ ٢٦٧ رقم ٢١٢٧٧. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(19) رواه الطبرانيُّ؛ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي في المعجم الكبير ١٨/ ٢٣٧، تحقيق حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط الثانية، والبزّارُ؛ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي في مسنده ٩/ ١٣ رقم ٣٥١٤، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط الأولى ١٩٨٨م، ورجالُه رجالُ الصحيح، كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر الهيثمي ١/ ١٨٧ دار الكتاب العربي. بيروت. ط الثانية ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، وله رواية أخرى عن عمر بن الخطاب، من طريق أبي عثمانَ النَّهْدِيِّ قال: إِنِّي لَجَالِسٌ تحت مِنْبَرِ عُمَرَ، وهُو يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إنّ أَخْوَفَ ما أخاف على هذه الأُمّةِ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللسانِ». رواه أحمد ١/ ٣٩٩ رقم ٣١٠ (ط الرسالة)، والبزار ١/ ٤٣٤ رقم ٣٠٥، ورجاله موثقون، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٧.

(20) رواه الطبرانيُّ في المعجم الأوسطِ ٧/ ١٢٨رقم ٧٠٦٥ (ط دار الحرمين - القاهرة)، من حديث عليّ بن أبي طالب مرفوعًا، بلفظ: «إِنِّي لَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْجِزُهُ إِيمَانُهُ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ كُفْرُهُ، وَلَكِنِّي أَتَخَوَّفُ عَلَيْهِمْ مُنَافِقًا، عَالِمَ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا يَعْرِفُونَ، وَيَعْمَلُ مَا يُنْكِرُونَ». وقال الهيثمي: وفيه الحارث الأعور، وهو ضعيف جدا، مجمع الزوائد ١/ ١٨٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجنة إلا بما تعلمنا منكم، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل» (٢١).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: « رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ »(٢٢).

وعن منصور بن زاذان قال: «نُبِّئتُ أن بعض من يُلقَى في النار لَيتأذَّى أهل النار بريحه، فيقال له: ويلك ما كنتَ تعمل؟ أما يكفينا ما نحن فيه من الشرِّ حتى ابتُلينا بك وبنَتْن ريحِك ؟ قال : فيقول: إني كنت عالمًا فلم أنتفع بعلمي» (٢٣).

وعن وهب بن منبِّه أن عيسى ابنَ مريم عليه السلام قال: «ويلكم يا

---

(21) رواه الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل، ص ٥٠ رقم ٧١، وص٥١ رقم ٧٣، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي. بيروت، ط الخامسة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤. ورواه الطبرانيُّ في الأوسط ١/ ٣٧ رقم ٩٩، وفيه أبو بكر الداهري وهو ضعيف جدا، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٦.

(22) رواه أحمد في المسند ٢١/ ١٥٨ رقم ١٣٥١٥، وابن حبان (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان)، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ١/ ٢٤٩ رقم ٥٣، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م، والطبرانيُّ في الأوسط ٨/ ١٤٤ رقم ٨٢٢٣، ورواه الإمام البغوي؛ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء في شرح السنة، ك الرِّقاقِ ب وعيدِ مَنْ يأْمُرُ بالمَعْروفِ ولا يأْتيه ١٤/ ٣٥٣ رقم ٤١٥٩، تحقيق شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، وقال الإمام البغوي: هذا حديثٌ حَسن، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل ص ٧٢ ـ ٧٣ رقم ١١١.

(23) رواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل، ص ٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبيد الدنيا، ماذا يُغنِي عن العالِم كثرةُ عِلمِه إذا لم يعمل به، ما أكثرَ أثمارَ الشجرِ وليس كلُّها ينفع ولا يؤكل، وما أكثر العلماءَ، وليس كلكم ينتفع بما علم، فاحتفظوا من العلماء الكَذَبة الذين عليهم لباس الصوف، منكِّسين رؤوسَهم إلى الأرض، يَطْرِفون تحت حواجبهم كما ترمق الذباب، قولُهم مخالفٌ فِعلَهم، مَن يجتني الشوك من العنب، ومن الحنظل التين، كذلك لا يثمر قولُ العالم الكذّاب إلا زُورًا، إن البعير إذا لم يوثِقْه صاحبُه في البرّية نزع إلى وطنه وأصله، وإن العِلم إذا لم يَعمل به صاحبُه خرج من صدره وتخلى عنه وعطَّله، وإن الزرع لا يصلح إلا بالماء والتراب، كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل، ويلكم يا عبيد الدنيا، إن لكل شيء علامةً يُعرَف بها وتشهد له أو عليه، وإن للدِّين ثلاثَ علامات يُعرف بهن: الإيمان والعلم والعمل» (٢٤).

ورُوِي عن عبد الله بن وهب عن سفيان أن الخضر قال لموسى عليه السلام: «يا ابن عمران تعلَّم العلم لتعملَ به، ولا تتعلَّمْه لتحدِّث به، فيكونَ عليه بُورُه، ولغيرك نورُه» (٢٥).

وعن جندب بن عبد الله الأزدي قال: قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ؛ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ » (٢٦).

---

(24) اقتضاء العلم العمل ، ص ٦٨.

(25) أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، ص ١٠٤، تحقيق محمد أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. ط الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

(26) رواه الطبراني في الكبير ٢/ ١٦٥ رقم ١٦٨، ورجاله موثقون، كما ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٥، ورواه الخطيب في اقتضاء العلم العمل ص٤٩ رقم ٧٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن أبي الدرداء قال: إن أخوف ما أخاف على نفسي أن يقال لي: يا عويمر هل علمتَ؟ فأقول: نعم، فيقال لي: فماذا عمِلْتَ فيما علِمْت؟ (٢٧).

وقال معاذ بن جبل: اعملوا ما شئتم بعد أن تعلموا، فلن يأجركم الله بالعلم حتى تعملوا (٢٨).

وعن الحسن قال: همة العلماء الرعاية، وهمة السفهاء الرواية (٢٩).

وقال سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيُّ: الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمِل بعلمه (٣٠).

وقال الحسن: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، من قال حسنًا وعمل غير صالح ردّه الله على قوله، ومن قال حسنًا وعمل صالحًا؛ رفعه العمل، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] (٣١).

وقال الفُضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: بلغني أن الفسقة من العلماء يُبدأ بهم يوم القيامة قبل عبَدة الأوثان.

وقال أبو الدرداء ﷺ: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات.

---

(27) اقتضاء العلم العمل ص٤٢ .

(28) رواه الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في سننه ١/ ٩٣ . تحقيق فؤاد أحمد زمر لي، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي. بيروت. ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(29) اقتضاء العلم العمل ص٣٥.

(30) السابق، ص ٢٨.

(31) اقتضاء العلم العمل ص ٤٢ ـ ٤٣.

وقال حاتم الأصم ـ رحمه الله ـ: ليس في القيامة أشدُّ حسرةً من رجل علّم الناس علمًا فعملوا به، ولم يعمل هو به، ففازوا بسببه وهلك هو [٣٢].

وقال الفضيل بن عياض: عامِلٌ معلِّم يُدعَى كبيرًا في ملكوت السموات [٣٣].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إن من أشرِّ الناس عند الله منزلةً يومَ القيامة عالما لا يَنتفِع بعلمه [٣٤].

وقال ابنُ المنكدر: العلم يَهتِف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل [٣٥].

وجوب تحلي الداعية بالقدوة عقلا:

هذا، وقوله تعالى في الآية المشار إليها سابقًا: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، فيه إشارة إلى أن مخالفة سلوك الداعية العمليِّ لما يدعو الناس إليه من خير؛ أمرٌ لا يستقيم مع سليم العقول، وطيّب الفطَر، مثلَ ما أنه لا يستقيم في ميزان الشرع.

«فإنه لا شك أن التغافل عن أعمال البر مع حثِّ الناسِ عليها مستقبَح في العقول، إذِ المقصود من أمر الناس بها إما النصيحة أو الشفقة، وليس

---

(32) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ١/ ٧٩، دار الريان. القاهرة. ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(33) رواه الترمذي في السنن. ك العلم ب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٤/ ٣١٤ عقب الحديث رقم ٢٦٩٤، تحقيق صدقي محمد جميل العطار، عبد القادر عرفان، دار الفكر. بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(34) سنن الدرامي، المقدمة، ب العمل بالعلم ١/ ٩٣ ـ ٩٤ رقم ٢٦٢.

(35) اقتضاء العلم العمل، ص٣٦.

من العقل أن ينصح الإنسان للغير أو يشفقَ عليه ويهملَ نفسه، وقوله تعالى ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تعجيب للعقلاء من هذا المسلك العجيب، فمَن وعَظ غيرَه، ولم يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل السليم، ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فالآية ـ كما ترى ـ ناعيةٌ على كل من يعِظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره، وأن فِعْله فِعْلُ الجاهلِ بالشرع، والأحمقِ الذي لا عقل له، فإنّ أمر الغير بالخير مع حرمان النفس منه مما لا يتفق وقضيةَ العقل» (٣٦).

والداعية المسلم عليه أن يتحرى أن يكون أكثرَ الناس انتفاعًا بما بُعث به الرسول ﷺ من الهدى والعلم، ولن يكون كذلك إلا إذا علِم وعمِل وعَلّم، شأنه في ذلك شأن الأرض الطيبة النقية التي نزل عليها الغيث من السماء فأحيا مواتَها، وأخرجت بإذن الله نباتَها، وانتفع الخلائق بها، ولا يليق بالداعية أن ينزل عن هذه المرتبة إلى ما دونَها، فيتعلّمَ العلمَ وينفعَ به الناسَ، ثم يتركَ العمل به، فيَحرِمَ نفسَه من الخير الذي أوصله إلى غيره، ويسلبَها النفعَ، فيكونَ كالأرض التي تمسك الماء للناس فيأخذونه وينتفعون به، بينما هي لم تنتفع منه بشيء.

وإلى هذا ونحوه يشير حديث النبي ﷺ، حيث يقول ـ فيما رواه عنه أبو موسى الأشعريّ ـ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ

(36) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، ص٩٢ : ٩٣ باختصار. دار الاعتصام.

الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[٣٧].

ثم إن الناس يتفقون عُرفًا على استهجان تركِ الداعيةِ العملَ بما يدعو غيرَه إليه، ومخالفةِ سلوكِه لما يحث الناس عليه، حتى إنك لترى هذا بديهةً من بدائه العقول، ومسلَّمةً من المسلمات في الأعراف والعادات.

ومن طريف ما ذُكِر ـ بشأن اعتقاد الناس وجوبَ التزام الداعية بأن يطبِّق على نفسه كلَّ ما يقوله لهم، ويدعوهم إليه ـ ما ذكره الماوردي، إذ قال:

حُكِي أن أعرابيًّا أتَى ابنَ أبي ذئبٍ فسأله عن مسألة طلاقٍ، فأفتاه بطلاق امرأتِه، فقال: أُنظر حسنًا، قال: نظرْتُ وقد بانت منك، فولّى الأعرابيُّ وهو يقول:

أتيْتُ ابنَ ذئبٍ أَبتغي الفقه عنده ... فطلَّق حِبّي البتّ تَبّتْ أناملُه

أُطلِّق في فتوى ابن ذئب حليلتي ... وعند ابن ذئب أهلُه وحلائلُه

فظنّ بجهله أنه لا يلزمه الطلاقُ بقولِ مَن لم يلتزم الطلاقَ، فما ظنُّك بقولٍ يجب فيه اشتراكُ الآمرِ والمأمور، كيف يكون مقبولًا منه وهو غيرُ

---

(37) رواه البخاري في ك العلم. ب فضلِ مَن علِم وعلّم، فتح الباري ١/ ٢١١ رقم ٧٩، ومسلم في ك الفضائل. ب مَثل ما بُعِث به النبيُّ ﷺ من الهُدَى والعلم. مسلم بشرح النووي ١٥/ ٤٥ ـ ٤٦ رقم ٢٢٨٢، وأحمد في المسند ٥/ ٥٤٤ رقم ١٩٠٧٦.

عامِلٍ به ولا قابِلٍ له؟ كلا [٣٨].

فهل من الدين والعقل أن يرضَى الداعيةُ لنفسه بأن يضيء للناس طريقهم ويحرقَ نفسه، أو يَدُلَّهم على سبيل النعيم ويهلِكَ هو في صراط الجحيم ؟!

فليتأملِ الداعيةُ هذا، وليتدبّر في حرص السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ على أن يتحققوا بمبدأ القدوة الصالحة في مجال الدعوة إلى الله، حتى رأينا منهم النماذج المشرقة، والمشاعل الهادية «كالشمس تفيد القمرَ الضوءَ ولها أفضل مما تفيده، وكالنار تُحمِّي الحديدَ ولها من الحَمْو أكثر مما تفيد، وكالمسك يُطيِّبُ غيره وهو طيّبٌ في نفسه» [٣٩].

قال أبو عمرو بن مطر: حضرْت مجلسَ أبي عثمانَ الحِيرِيِّ الزاهد، فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير، فسكت حتى طال سكوته، فناداه رجلٌ كان يُعرف بأبي العباس: تَرى أن نقول في سكوتك شيئًا؟ فأنشأ يقول:

وغيرُ تَقيٍّ يأمر الناس بالتُّقَى ❁ طبيبٌ يُداوِي والطبيبُ مريض

قال: فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج.

وقال إبراهيم النخعيُّ: إني لأكره القَصص لثلاث آيات، قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ [البقرة : ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:

(38) أدب الدنيا والدين، ص١٠٥ـ١٠٦.

(39) هداية المرشدين، ص٩٤.

٨٨][٤٠].

وهكذا يتأكَّد لنا أن الداعيةَ المسلمَ لا يَسعُه ـ شرعًا وعقلًا ـ إلا أن يكون مرآة صافية، وصورة صادقة ومثالًا حيًّا لما يدعو إليه مِن فضائل، وينشره من خير وبِرٍّ، فيصيرَ قدوةً حسنةً أمام المدعوين، وسفيرا محبوبا لدعوته بين الناس، يفيد نفسه ويفيدهم، وينفعها وينفعهم، ولا يكون عِلمُه وبالًا عليه، ووعْظُه حجة ضِدَّه، ويكون قد تحقق بالعلم والعمل، إلى جانب الدعوة، فيفوز بالأجر الكبير، والثواب العظيم، والله يُعطِي الفضلَ من يشاء، لا إله إلا هو الموفِّق والمعين.

*****

(40) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

الفصل الثاني
أهم مجالات القدوة في حياة الداعية

مدارُ القدوة في حياة الداعية على أمرين: إصلاحِ النفْسِ، ودعوةِ الغيرِ:

إن مما لا يخفى أن الداعية محط أنظار الناس، ومحل مراقبتهم، وموضع اهتمامهم، فلا ينبغي أن تقع أعينهم منه على مظهر غير محمود، أو مسلك مرفوض، الأمر الذي يتطلب منه أن يكون قدوة صالحة في شتى الجوانب، وأسوة حسنة في كل شيء تضمنته دعوته، وبعبارة أخرى: ينبغي أن يكون مسلِما صالحًا، متدينًا حقَّ التدين، تتحقق فيه ومن خلاله أسسُ التدينِ الصحيحِ ومظاهرُه، فلا يكون ملتزمًا في جانب ومفرّطا في جانب آخر، ولا يراه الناس أسوة صالحة في مجال، ويبصرونه عكس هذا في مجال آخر، وهكذا يكون تَحقُّقُه بمبدأ القدوة الحسنة تحقّقًا شاملًا، والتزامُه التزامًا تامًا متكاملًا، وليس جزئيًّا أو ناقصًا.

وبهذا يصير الداعية قدوة في جانب إصلاحِ نفْسِه وتكميلِها.

ويبقى بعد ذلك أن يكون الداعيةُ قدوةً في جانبٍ آخَرَ على قدْرٍ عظيمٍ من الأهمية يُعدُّ جوهرَ عملِه، وأساسَ وظيفتِه؛ ألا وهو جانبُ إصلاحِ وتكميلِ الغيرِ، بدعوتهم إلى الخير ودلالتِهم عليه، وتحذيرِهم من الشر، والأخذِ بيدِ الناسِ إلى صراطِ الله المستقيم، فيكون مثالا يُحتذى في الهمة العالية، والحركة الدائبة، والجهودِ المتواصلةِ الواعيةِ في العمل للإسلام، والدعوةِ إليه على بصيرة.

وجديرٌ بالذِّكر أن مَنْ أراد النجاةَ مِنَ الخسران، ورَامَ الفوزَ برضا الكريمِ المنّان؛ فليحرص على أن يكون له من التحقُّق بِذَيْنِكَ الجانبَيْن ـ إصلاحِ وتكميلِ النَّفْسِ، وإصلاحِ وتكميلِ الغير ـ أوفرُ الحظِّ والنصيب، كما بيَّنَتْ هذا ووَكّدَتْه ـ في إيجازٍ وإعجازٍ ـ سورةُ العصر، حيث يقول الله تعالى:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

ويمكننا القولُ بأن أهمَّ مجالات القدوة في حياة الداعية ـ في جانب تكميلِ نَفْسِه وإصلاحها ـ ثلاثة:

أ ـ الإيمان أو العقيدة.

ب ـ العبادة.

ج ـ الأخلاق.

وهذه المجالات الثلاثة عليها مدار الدين، وبها يتحقق التدين الصحيح والالتزام الحق بالإسلام، كما يحصل بها صلاح الفرد والجماعة، فضلًا عن أنها ـ بما يندرج تحتها من فروع ـ جِماع الخير، وعنوان البِرّ، مَن تحقق بها جميعِها، وكان قدوة صالحة في الالتزام بها؛ أفلح ونجا.

وفي كتاب الله عز وجلّ آية قال عنها العلماء: إنها آية البر، جمعت بين ثناياها تلك المجالات الثلاثة، وأشارت إلى أن التحلّي والتحقّقَ بها أمارةُ الكمال، وبرهانُ الصدقِ في الإيمان.

وتلك الآية هي قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى

ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧].

فقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ إشارة إلى جانب الإيمان.

وقوله سبحانه: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ إشارة إلى جانب العبادة.

وقوله جل شأنه: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ ﴾ إشارة إلى جانب الأخلاق.

«وهكذا تجمع آية واحدة بين أصول الاعتقاد، وتكاليف النفس والمال، وتجعلها كُلًّا لا يتجزأ، ووَحدة لا تنفصم، وتضع على هذا كله عنوانًا واحدًا هو «البِرّ»، أو هو «جماع الخير»، أو هو «الإيمان» كما ورد في بعض الأثر.

والحق أنها خلاصةٌ كاملةٌ للتصور الإسلاميِّ، ولمبادئ المنهجِ الإسلاميِّ المتكامل، ولا يستقيم بدونها إسلام »[41].

ويضاف إلى تلك المجالات الثلاثة مجالٌ رابعٌ يتعلق بأمر تكميل الغير، وهو: الهمة العالية في العمل للإسلام، والدعوةِ إليه على بصيرة.

فلدينا إذن أربعةُ أمور هي أهم مجالات القدوة في حياة الداعية، وهي - إجمالا -:

---

(41) في ظلال القرآن، سيد قطب ١/ ١٦١. دار الشروق. بيروت. ط الثانية عشرة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

أولا: الإيمان أو العقيدة.

ثانيا: العبادة.

ثالثا:الأخلاق.

رابعا: الهمة العالية في العمل للإسلام، والدعوةِ إليه على بصيرة.

ونُلقي ضوءً على تلك المجالات، يوضح مفهومها، ويبين كيف يكون الداعية قدوة في كلٍّ منها، وذلك على النحو التالي:

أولا: الإيمان أو العقيدة:

العقيدة الإسلامية تعني الإيمانَ الجازمَ، الملازمَ لقلب صاحبه بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فأركانها هي أركان الإيمان الواردة في حديث جبريل المعروف، والذي جاء فيه: «قال فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت» (٤٢).

والداعية ينبغي أن يكون قدوة في مجال الإيمان من ناحيتين؛ إحداهما نظرية، والأخرى عملية:

أما الناحية النظرية: فتتحقق بأن يكون قدوة في صحة الإيمان، وسلامة الاعتقاد، وذلك بأن لا تَشوبَ إيمانَه أيّةُ شوائب، أو يُداخلَ عقيدتَه أيُّ انحراف، فتكونَ العقيدة لديه صافيةً نقية صحيحة، كما دعا إليها الإسلام، وجاءت في صريح القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة، وعلى النحو

(42) جزء من حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، ك الإيمان ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ١٥٠رقم ٨، وابن ماجه في مقدمة السنن، ب في الإيمان ١/ ٢٤ رقم ٦٣ من حديث عمر بن الخطاب.

الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابتُه الطيبون الطاهرون.

وأما الناحية العملية: فتتحقق بأن تكون حياة الداعية صدى وانعكاسا لمفاهيم العقيدة وأصولها، وذلك بأن تظهر آثار الإيمان عليه في سلوكه وتصرفاته، وأن لا يكون في شأن من شؤونه أو موقف من مواقفه مناقضًا لمفاهيم العقيدة الإسلامية أو مبادئها.

فإذا كان من مضامين العقيدة الإسلامية أن الرزق بيد الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود : ٦]، وأن الآجال بيد الله، مصداقًا لقوله جل شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران : ١٤٥]؛ فينبغي أن يظهر أثر هذا على الداعية عمليًّا؛ فيدعوَ إلى الله، ويجاهرَ بقول الحق، دون خوف على فوات رزق، أو نقصان أجل، ولا يتهيب ظالمًا أو كبيرًا؛ لأن أحدًا ـ كائنًا من كان ـ لا يستطيع أن يمنع عنه شيئًا قَسَمه الله له، ولا أن يزيد في رزقه أو يضيف إلى عمره ما لم يقدّرْه الله له.

ومن أصول العقيدة الإسلامية الإيمان بالقدر، فيؤمن المسلم بأن ما قدّره الله تعالى واقع ونافذ، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء بتقديره سبحانه، وأن الكونَ كلَّه يسير بمشيئته جل وعلا وبقدرته وتدبيره، وفق نظام بديع، وتقدير حكيم، فإذا قضى سبحانه فلا رادّ لقضائه، وإذا حكم فلا معقِّب لحكمه، والخلق خلْقُه، والأمْر أمْرُه، حيث يقول تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول جل شأنه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: كنتُ خلْفَ النبيِّ ﷺ يومًا، فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظْك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفت الصحف»(٤٣).

فينبغي أن يظهر أثر هذا الإيمان في حياة الداعية وسلوكِه وجميع تصرفاته، فيبدوَ مطمئنًا راضيًا بما قدره الله؛ لا يحزن على فائت، ولا يفرح بآت، ولا ينحني لغير الله خالقِه، أو يُذِلّ نفسه لغير مولاه، ما دام الأمر كلُّه بيد الله، وما دام البشرَ لا يملكون له نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

وطريق الدعوة ـ كما هو معلوم ـ محفوفة بالأشواك، ولا تخلو من محن وابتلاءات، فإذا تعرض الداعية لشيء من هذا القبيل لم يجزع، ولم يتراجع، ولم يُعطِ الدنيَّة في دينه، بل يكون ثابتًا، مستعليًا على المحن شامخًا، راضيًا بحكم الله، مطمئنًا لقدَره جل في علاه، معتقدًا في قرارة نفسه أن هذا كلَّه مقدَّر منذ الأزل، فلا مفر من وقوعه، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

---

(43) أخرجه الترمذيُّ في السنن، ك صفة القيامة ب ٥٩، رقم ٢٥٢٤، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند ١/ ٤٨٢، ٤٩٩، ٥٠٥ : ٥٠٦ ـ أرقام ٢٦٦٤، ٢٧٥٨، ٢٨٠٠.

وعليه فينطلق الداعية في الحياة بثبات وشموخ، وعزة وهمة، لا يتوانى في تحصيل رضا الله، والعمل لدينه سبحانه، وإعلاء كلمة الله، وكيف لا وهو يعلم أنه في كل الأحوال لن يصيبه إلا ما قُدِّر له.﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥١].

وهكذا يكون الداعية المسلم قدوة صالحة في مجال الإيمان والعقيدة نظريًّا وعمليًّا، فيفهم العقيدة ويؤمن بها على الوجه الذي أراده منا الخالق جل وعلا، وتعبَّدَنا باعتقاده وبالإيمان به في صريح القرآن وصحيح السنة، ثم تكون حياته مثالًا عمليًّا لحياة صاحبِ العقيدة القويّة، والإيمان اليقظ الراسخ في الأعماق، فيَصدُر في كل أموره عمّا يؤمن به ويعتقده .

ثانيًا: العبـــادة:

والمجال الثاني من مجالات القدوة في حياة الداعية المسلم هو العبادة، «وأصل العبادة: الخضوع والتذلل، يقال: طريق معبّدة إذا كانت موطوءة بالأقدام، والعبادة: الطاعة، والتعبد: التنسك، وعبّدت فلانًا: اتخذته عبدًا»(٤٤).

وللعبادة مفهوم عام، وهو أنها تعني كلَّ ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، في إطار ما شرع سبحانه.

قال ابن تيمية: « العبادة هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاةُ والصيامُ والحجُّ، وصدقُ الحديث، وأداءُ الأمانة، وبرُّ الوالدين، وصلةُ الأرحام، والوفاءُ بالعهود،

(44) الجامع لأحكام القرآن ١/ ١٥٧، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١٥٣، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، والجهادُ للكفار والمنافقين، والإحسانُ إلى الجار واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السبيل، والمملوكِ من الآدميين والبهائم، والدعاءُ والذكر والقراءة، وأمثالُ ذلك من العبادة، وكذلك حبُّ الله ورسولِه، وخشيتُه والإنابةُ إليه، وإخلاصُ الدِّين له، والصبرُ لحُكمه، والشكرُ لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكلُ عليه، والخوفُ من عذابه، وأمثالُ ذلك هي من العبادة لله »[٤٥].

وهناك مفهوم آخر للعبادة يتّسم بالخصوصية، وهي أنها ذلك القسم من أقسام الشريعة الإسلامية، الذي « يَضُمّ الصورَ والكيفياتِ المحدَّدةَ التي شرعها الله تعالى، ليتقرب عبادُه إليه بأدائها، فالشارع هو المنشئ لها، والآمر بها، وليس للعباد فيها حظٌّ شخصيٌّ لأول وهلة » [٤٦].

فهذا هو المفهوم الخاص للعبادة، والذي «نعني به تلك الصور المحددة التي رسمها الإسلام للتقرب بها إلى الله تعالى، واتخذها شعائرَ مميِّزةً له، وعيّن لها مواقيتَ ومقاديرَ وكيفيات لا مجال فيها لتبديل أو تعديل» [٤٧].

هذا؛ والشعائر التعبدية من صلاة وزكاة وصوم وحج ؛ زادٌ روحيٌّ للمسلم، وحياةٌ لكيانه المعنويّ، والداعية أولى الناس بأن يكون له من هذا الزادِ أوفرُ الحظِّ والنصيب.

ويتحقق كونُ الداعيةِ المسلمِ قدوةً في مجال العبادة بأمرين:

---

(45) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١٤٩: ١٥٠.

(46) العبادة في الإسلام، د/ يوسف القرضاوي، ص٦٩، مؤسسة الرسالة. بيروت ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م.

(47) السابق، ص ٢٠٣.

الأمر الأول: أن يؤدِّيَ العبادة على النحو الصحيح وِفْقَ ما شرع الله، وكما جاء عن رسول الله ﷺ، فيكونَ مثالاً يُحتذَى في الالتزام التامّ الكامل في أداء العبادة بما شرع الله، ولْيتذكرْ أنّ عموم المدعوين ينظرون إلى فعله للشعائر التعبدية، وكيفية قيامه بها على أنه التطبيق الصحيح ـ إن لم يكن الأمثل ـ، ولذلك فهم يقتدون به ويقلدونه في ممارستهم لتلك الشعائر، ويجعلون فعله حجة ومرجعًا في غالب الأحيان.

ولذا فالداعية مُطالَب بأن يتحرى هَدْيَ رسول الله ﷺ في أداء العبادات، فيبتعدَ عن الابتداع، سواء أكان بزيادة أم نقصان، أو تحوير أو تغيير، حتى لا يَضِلَّ ويُضِلَّ.

ولْيجعلْ نُصْب عينيْه قولَ الرسول ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»[٤٨].

وقولَه ﷺ: « خذوا عني مناسككم »[٤٩].

وقولَه ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ »[٥٠].

---

(48) جزء من حديثٍ أخرجه البخاري في ك الأذان ب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة. وفي ك الأدب. ب رحمة الناس والبهائم. فتح الباري ٢/ ١٣١: ١٣٢ رقم ٧٣١، و ١٠/ ٤٥٢ رقم ٦٠٠٨، والدارميّ في ك الصلاة ب من أحق بالإمامة ١/ ٣١٨ رقم ١٢٥٣، وابن حبان في ك الصلاة ب الأذان٤/ ٥٤١ رقم ١٦٥٨، كلهم من رواية مالك بن الحويرث.

وقَالَ أَبُو حَاتِم (ابن حبان) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (قَوْلُهُ ﷺ «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»: لَفْظَةُ أَمْرٍ تَشْتَمِلُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ كَانَ يَسْتَعْمِلُهُ ﷺ فِي صَلَاتِهِ، فَمَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ خَصَّهُ الْإِجْمَاعُ أَوِ الْخَبَرُ بِالنَّفْلِ، فَهُوَ لَا حَرَجَ عَلَى تَارِكِهِ فِي صَلَاتِهِ، وَمَا لَمْ يَخُصَّهُ الْإِجْمَاعُ أَوِ الْخَبَرُ بِالنَّفْلِ فَهُوَ أَمْرٌ حَتْمٌ عَلَى الْمُخَاطَبِينَ كَافَّةً، لَا يَجُوزُ تَرْكُهُ بِحَالٍ). أ.هـ.

(49) رواه النسائي في ك مناسك الحج ب الركوب إلى الجمار ٥/ ٢٧٠، وأحمد في المسند ٤/ ٢٦١ رقم ١٤٠١٠، كلهم من رواية جابر.

(50) رواه البخاري في ك الصلح، ب إذا اصطلحوا على جور. فتح الباري ٥/ ٣٥٥ رقم =

وفي رواية: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ » [٥١].

وليتذكر أنه إذا التزم بالأداء الصحيح للعبادة كان له من الأجرِ الكثيرُ، حيث إنه ـ بحُسْن التطبيق ـ، يكون قد سنّ في الإسلام سنة حسنة، وإن لم يلتزم في أداء العبادة بما هو مشروع، كأن ابتدع فيها بزيادة أو نقصان، أو تحريف أو تبديل، كان عليه من الوزر الكثيرُ، ولأنه يكون حينئذ قد سنّ سنة سيئة، والعياذ بالله.

عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ مَن عمل بها بعدَه من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّةً سيئةً كان عليه وِزْرها ووِزْرُ من عمل بها مِن بعدِه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » [٥٢].

وأما الأمر الثاني الذي يتحقق من خلاله كونُ الداعيةِ قدوةً في مجال العبادة: فهو أن يجتهد الداعية في ممارسة العبادات، فيكونَ مثالاً يُحتذَى في المحافظة على أداء الفرائض، والإكثارِ من النوافل، ويكونَ بعيدًا كلَّ البعد عن التفريط فيها، أو التهاون في أدائها، فليس هو بالذي يكون مقصرًا في عبادة

=٢٦٩٧، ومسلم في ك الأقضية ب نقض الأحكام الباطلة وردّ محدثات الأمور. شرح النووي ١٢/ ١٥: ١٦ رقم ١٧١٨، وابن ماجه في المقدمة ب تعظيم حديث رسول الله ١/ ٧ رقم ١٤، وأحمد ٧/ ٣٨٥ رقم ٢٥٧٩٧، كلهم من رواية عائشة.

(51) رواه مسلم في ك الأقضية ب نقض الأحكام الباطلة، من حديث عائشة أيضًا .

(52) رواه مسلم في ك الزكاة ب الحث على الصدقة. شرح النووي ٧/ ١٠٢: ١٠٤ رقم ١٠١٧، وفي ك العلم ب من سن سنة حسنة أو سيئة. السابق ١٦/ ٢٢٦ رقم ٢٦٧٣، والنسائي في ك الزكاة ب التحريض على الصدقة ٥/ ٧٥ ، وأحمد ٥/ ٤٧٧ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ أرقام ١٨٦٧٥، ١٨٦٩٣، ١٨٧٠١.

الله، بل ولا يكون قانعًا بالقليل منها، أو زاهدًا في الإكثار والاستزادة منها.

وليتذكر دائمًا حديث رسول الله ﷺ، الذي يرويه عن رب العزة جل وعلا، فيقول: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبَّ إليّ مما افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمْعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه»(٥٣).

وليكن له أسوة في سيد العابدين رسولِ الله ﷺ، حيث كان يجتهد في أداء العبادة ويكثر من ممارسة الشعائر تقربًا إلى الله، ورغبة في مثوبته، وطمعًا في نَيل فضله، مع أنه ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» (٥٤).

وهكذا إذا كان الداعية ملتزمًا في مجال العبادة بالأداء الصحيح لها، ومجتهدًا في فعلها، وحريصًا على مزاولتها، ومسارعًا في إقامتها؛ فإنه يصير قدوة صالحة، وأسوة نافعة أمام المدعوين، وهاديًا للسالكين إلى رب العالمين.

---

(53) رواه البخاري في ك الرقاق ب التواضع، فتح الباري ١١/ ٣٤٨ رقم ٦٥٠٢ من حديث أبي هريرة، وروى نحوَه أحمدُ في المسند ٧/ ٣٦٥ رقم ٢٥٦٦١ من حديث عائشة.

(54) رواه البخاري في ك التفسير ـ تفسير سورة الفتح ب ليغفر لك ما تقدم من ذنبك، فتح الباري ٨/ ٤٤٨ رقم ٤٨٣٦، والنسائي في ك قيام الليل ب الاختلاف على عائشة في قيام الليل ٣/ ٢١٩، وابن ماجه في ك إقامة الصلاة ب ما جاء في طول القيام في الصلوات ١/ ٤٥٦ رقم ١٤١٩، وأحمد ٥/ ٣٠٧ رقم ١٧٧٣٣.

ثالثا: الأخـلاق:

والأخلاق جمع «خُلُق، والخُلُق بالضم وضمتين: السجيّة والطبع، والمروءة والدين» [٥٥].

وقال الإمام القرطبيُّ: وحقيقة الخُلُق في اللغة هو ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأدب، يسمى خُلُقًا؛ لأنه يصير كالخِلقة فيه، وأمّا ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم (بالكسر): السجية والطبيعة، ولا واحد له من لفظه، وخِيم اسم جبل، فيكون الخُلُق الطبعَ المتكلَّف، والخِيمُ الطبعَ الغريزيّ [٥٦].

وعرَّف الإمام الغزاليُّ الخلقَ بأنه: «عبارة عن هَيْئَة في النَّفْسِ رَاسِخَة، عَنْهَا تصْدر الْأَفْعَال بِسُهولةٍ وَيُسْرٍ مِن غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ، فَإِنْ كَانَتِ الْهَيْئَةُ بِحَيْثُ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ الْمَحْمُودَةُ عَقْلًا وَشَرْعًا سُمِّيَتْ تِلْكَ الْهَيْئَةُ خُلُقًا حَسَنًا، وَإِنْ كَانَ الصَّادِرُ عَنْهَا الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ سُمِّيَتِ الْهَيْئَةُ الَّتِي هِيَ الْمَصْدَرُ خُلُقًا سَيِّئًا.

وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّهَا هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ لأن مَن يَصدر منه بَذْلُ المالِ عَلَى النُّدُورِ لِحَاجَةٍ عَارِضَةٍ لَا يُقَالُ خُلُقُهُ السَّخَاءُ مَا لَمْ يَثْبُت ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ثُبُوتَ رُسُوخٍ، وَإِنَّمَا اشْتَرَطْنَا أَنْ تَصْدُرَ مِنْهُ الْأَفْعَالُ بِسُهُولَةٍ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ؛ لِأَنَّ مَنْ تَكَلَّفَ بَذْلَ المالِ أَوِ السُّكُوتَ عِنْدَ الْغَضَبِ بِجُهْدٍ وَرَوِيَّةٍ لَا يُقَالُ خُلُقُهُ السخاء والحلم» [٥٧].

---

(55) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ١١٣٧، مؤسسة الرسالة - بيروت. ط الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(56) الجامع لأحكام القرآن ، ١٨/ ١٤٩.

(57) إحياء علوم الدين ٣/ ٥٣، (ط دار المعرفة)، وقد نقله عنه الجرجانيُّ في كتابه: التعريفات=

ويعرِّف أحد الباحثين الأخلاق ـ في نظر الإسلام ـ بأنها: «عبارة عن المبادئ والقواعد المنظِّمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحوٍ يحقق الغايةَ من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه »[٥٨].

هذا، ولقد اهتم الإسلام الحنيف بإرساء دعائم الأخلاق الفاضلة، كما حث على التحلي بمكارم الأخلاق، والتخلي عن سيئها، وأكد على هذا الأمر تأكيدًا بالغًا، حتى غدا هذا الدِّينُ جديرًا بأن يوصف ـ بحق ـ بأنه دين الأخلاق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

وعن أبي هريرة قال: سُئِل رسولُ الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناسَ الجنةَ؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يُدخل الناسَ النار؟ فقال: «الفم والفرج »[٥٩].

وعن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنتَ وأتبع

= ص ١٣٦، (ط دار الريان للتراث).

(58) أصول الفكر التربوي في الإسلام. د/ عباس محجوب، ص ٩١. جامعة الإمارات ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م، نقلاً عن مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ص ٧٥.

(59) رواه الترمذي في ك البر والصلة ب ما جاء في حسن الخلق ٣/ ٤٠٤ رقم ٢٠١١، وقال: صحيح غريب، وابن ماجه في ك الزهد ب ذكر الذنوب ٣/ ١٤١٨ رقم ٤٢٤٦، وأحمد ٢/ ٥٦٥ رقم ٧٨٤٧، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٢٤، وصححه ووافقه الذهبي.

السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخلق حسن» [٦٠].

وعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يومَ القيامة من خُلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[٦١].

وعن عبد الله بن عمرو قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقًا» [٦٢].

من أجل هذا وغيره فإن الداعية المسلمَ مطالَب بأن يكون قدوة في الاستمساك بمكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، وملزَم بأن يتحقق بها في كل أحواله وكافة شؤونه.

ثم إن الأخلاق ـ خاصة ـ هي المجال الأرحب، والباب الأوسع، الذي يطِّلع الجمهور من خلاله على الداعية، كما أنه الأكثر لفتًا لأنظار الناس نحو الداعية، والأكثر تأثيرًا فيهم إيجابًا أو سلبًا، وهم يرقبونه ليرَوا مدى التزامه بمكارم الأخلاق من عدمه، فيقتربوا منه ويتعلقوا به، أو يبتعدوا عنه ويَنفِروا منه، ويشهدوا له أو عليه، فليتق الله ولْيُرِهِم من نفسه خيرًا في مجال السلوك والأخلاق، حتى يكون مصدرَ جذبٍ لهم، وتأثيرٍ فيهم،

---

(60) رواه الترمذي في ك البر والصلة ب ما جاء في معاشرة الناس ٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨ رقم ١٩٩٤، وقال: حسن صحيح، وأحمد ٦/ ١٩٠: ١٩٧ رقم ٢٠٨٤٧ ورقم ٢٠٨٩٤، والدارمي في ك الرقائق ب في حسن الخلق ٢/ ٤١٥ رقم ٢٧٩١، والحاكم في ك الإيمان ١/ ٥٤ وصححه.

(61) رواه الترمذي في ك البر والصلة ب ما جاء في حسن الخلق ٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٢٠٠٩، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد ٧/ ٦٠٠ رقم ٢٦٩٧١.

(62) رواه البخاري في الأدب المفرد، ب حسن الخلق ص ١٢١، طبعة وزارة الأوقاف بالإمارات، ومسلم في ك الفضائل ب كثرة حيائه ﷺ، شرح النووي ١٥/ ٧٨ رقم ٢٣٢١.

ووسيلةَ تحبيبٍ لهم في الدعوة.

وليكن التزام الداعية بمكارم الأخلاق شاملاً ودائمًا، فلا يلتزم ببعض الأخلاق بينما يفرِّط في البعض الآخر، أو يلتزم بالأخلاق متى كان ذلك يحقق له مغنمًا، ثم يتخلى عن ذلك إنْ بدا له أنّ تمسكه بمكارم الأخلاق سيجُرّ عليه بعض التكاليف، ويلزمه بما لا ينسجم مع هواه، أو كان سيعود عليه بمغرم ...، فينبغي أن يتنزه عن مثل هذا المسلك؛ لأنه ـ والعياذ بالله ـ شبيه بصنيع المنافقين في موقفهم من قبول التكاليف الشرعية والأوامر الإلهية، حيث إنهم كانوا إذا رأَوا أن مصلحة ما ستعود عليهم قبِلوا بأمر الله ورسوله ﷺ، أمّا إذا قدّروا أن ثمّة منفعةً ستفوتهم، أو التزامات معينة سيتحملونها؛ تنصّلوا وأعرضوا مُدْبرين.

قال تعالى حكاية عن صنيعهم ذلك: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨ ـ ٤٩].

فليحرص الداعية على الاستمساك بجميع مكارم الأخلاق في كل أحيانه وشؤونه؛ في بيته وعمله، وبيعه وشرائه، وجِدِّه ولهوه، وحِلِّه وتَرحالِه، وظعنِه وإقامتِه، ورضاهُ وغضبِه، وملبسِه ومأكلِه .. وهكذا.

رابعا: الهمة العالية في العمل للإسلام، والدعوةِ إليه على بصيرة:

إن العملَ للإسلام، والدعوةَ إلى الله على بصيرة، هو وظيفةُ الداعيةِ الرئيسةُ، وقضيتُه الكبرى، ولا شك في أنها أشرف الوظائف، وأكرم الأعمال، وكيف لا؛ والله تعالى قد تولى الدعوة بنفسه، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥].

«ودعوةُ الله إلى دار السلامِ هي ما يدعو إليه من الإيمان به وباليوم الآخر وبما جاء من تكليف على ألسنة الرسل الكرام، فإن ذلك هو السبيل إليها، وإن الدعوة إلى دار السلام تَعُمّ كلَّ الناس، لأن الباب إلى الجنة مفتوح لهم جميعا» (٦٣).

«ودعاؤُه [تعالى] إلى دار السلام وأمْرُه [سبحانه] بالإيمان عامٌّ للكل، وأما الهدايةُ فنوعان: هدايةُ دلالةٍ وإرشادٍ، وهي للجميع «الدعوة للإسلام»، وهدايةُ توفيقٍ وهي خاصة، يهدى من يشاء من عباده إلى صراط مستقيم، أي: يوفق من يشاء إليه» (٦٤).

وجعل الله تعالى الدعوةَ إليه وظيفةَ خيارِ الخلق، وصفوةِ البشر، وهم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما نَصّ على أنها أبرز صفات خاتم المرسلين سيدنا محمدﷺ، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ٤٧﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وأكّد جل شأنه على علوّ منزلة المشتغلين بالدعوة إليه تبارك وتعالى، وبين أنه لا أحدَ أحسنُ منهم، فقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى

(63) زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (المتوفى ١٣٩٤هـ) ٧/ ٣٥٥١، دار الفكر العربي.

(64) التفسير الواضح، د. محمود محمد حجازي ٢/ ٥٦، دار الجيل الجديد - بيروت، ط العاشرة ١٤١٣ هـ.

ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أن رسول الله ﷺ قال: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» (٦٥).

من هنا فإنه يجدر بالداعية أن يكون ذا عزيمة قوية في الدعوة إلى الله تعالى، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يبذل في هذا المجال قصارى جهده، وأقصى طاقة لديه، وأن يكون مهموما بدعوته، مجاهدا ومضحِّيا في سبيلها، متحمِّلا للشدائد من أجل رفعتها، عاملا على النهوض بها، وأن يكون مثالا يُحتذى في الهمة العالية، والحركة الدائبة، وبذل الجهودِ المتواصلةِ الواعيةِ في العمل للإسلام، ورفع رايته، والتمكين له في الأرض، ولشريعته بأن تسود وتحكم، ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

والقرآن الكريم حافل بنماذج من أصحاب الهمة العالية في الدعوة إلى الله، وفي مقدمتها الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبخاصة أولوا العزم منهم، ثم تابعوهم بإحسان، مثل مؤمن آل فرعون، ومؤمن سورة ﴿يٰسٓ﴾، بل إن الهدهد الذي حكى لنا القرآن ما كان من أمره في قصة نبيِّ الله سليمان عليه السلام، كان له نصيب عظيم من الهمة العالية في العمل للإسلام والدعوة إلى الله، والعمل على الإصلاح.

---

(65) رواه البخاري في صحيحه، ك أصحاب النبي ﷺ، ب مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ٥/ ١٨رقم ٣٧٠١، ومسلم في صحيحه، ك فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، ب مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٤/ ١٨٧٢ رقم ٢٤٠٦.

ولـتكن أعـمالُ الداعيـة وجهـودُه في العمـلِ للإسـلامِ والـدعوةِ إليـه مستبصرةً راشدةً، تتسم بالصواب والحكمة، مبنية على علم مستنير، وفقه متين، وفهم عميق لكل ما تتطلبه وظيفتُه، كي تُؤْتِيَ بإذن الله ثمارها.

تلك أهـم المجـالات التي يجـب أن يكـون الداعيـة قـدوة مـن خلالهـا، فيُعطـيَ صـورةً مـشرِقةً، ويقـدِّمَ نموذجًـا يُحتَـذى في التطبيـق الحـيِّ الأمثـل لمبادئ دعوته، وتعاليم دينه، والعمل لـدين الله والـدعوة إلى سـبيله، وينفـعَ نفـسَه وغـيرَه، ويحـوزَ الفـلاح في الـدارين. والله الموفـق والهـادي إلى سـواء الصراط.

*****

الفصل الثالث
الأسباب المعينة للداعية على التحقق بالقدوة

إن هناك أمورًا وأسبابا تعين الداعيةَ على أن يكون قدوة صالحة، وتثبِّته على هذا المبدأ العظيم؛ (مبدأ القدوة)، ومن هذه الأسباب ما يلي:

أولا: اللجوء إلى الله والاستعانة به سبحانه:

وأول ما ينبغي أن يتوجه إليه همُّ الداعية وهِمّتُه في هذا الشأن هو أن يلجأ بصدق إلى الله تعالى ويستعينَ به، ويسألَه أن يوفقه للعمل بما يقول ويعلم، وأن يعينَه على أن يكون قدوة حسنة، وصورة مشرِّفة لدعوته، إذْ لولا توفيقُ الله للعبد ومعونتُه إياه؛ لما أدرك شيئًا مما يريد.

«والمطابقة بين القول والفعل، وبين العقيدة والسلوك، ليست أمرًا هيّنًا ولا طريقًا مُعَبَّدًا، إنها في حاجة إلى رياضةٍ وجهدٍ ومحاولةٍ، وإلى صلةٍ بالله واستمدادٍ منه، واستعانةٍ بهديه، فملابسات الحياة وضروراتها واضطراراتها كثيرًا ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضميره، أو عما يدعو إليه غيرَه، والفردُ الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيفٌ مهما كانت قوته؛ لأن قُوَى الشرِّ والطغيانِ والإغواءِ أكبرُ منه، وقد يغالبها مَرّةً ومَرَّة، ولكنْ لحظةُ ضعفٍ تنتابه فيتخاذل ويتهاوَى، ويخسر ماضيَه وحاضرَه ومستقبلَه، فأمّا وهو يَركَن إلى قوة الأزل والأبد فهو قويٌّ، أقوى من كل قُوىً، قويٌّ على شهوته وضعفه، قويٌّ على ضروراته واضطراراته، قويٌّ على ذوي القوة الذين يواجهونه» (٦٦).

(66) في ظلال القرآن ١/ ٦٨: ٦٩.

ولأهمية هذا الأمر نجد نبيَّ الله شُعيبًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ في معرض نُصحِه لقومه، وذكرِه لهم بأنه عاملٌ بما يقول، غيرُ مخالفٍ لما يدعوهم إليه؛ نجده في سياق هذا يذكر أنّ ما حالفه من توفيق فمردّه إلى الله، الذي لا مُوفِّق ولا معين سواه.

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

فهو يريد أن يقول لهم ـ والله أعلم ـ بأن الله هو الموفق لي في تحقيق ما أبتغي من إصلاح وخير، وهو الموفق لي والمعين لأن أكون قدوة صالحة أمامكم، فأعملَ بما آمركم به، وأتركَ ما أنهاكم عنه.

ونجد كذلك في قصة نبيِّ الله يوسفَ عليه الصلاة السلام، حين كادت له النسوة، وتآمَرْن عليه مع امرأة العزيز، بعد أن دعتهن إلى القصر، وأتاحت لهن رؤية «يوسف»، وكان من أمر ذلك ما كان؛ عندها قال يوسف عليه السلام ـ فيما حكاه الله تعالى في القرآن ـ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣٣].

«وهي دعوة الإنسانِ العارفِ ببشريته، الذي لا يغترُّ بعصمتِه فيريدُ مزيدًا من عناية الله وحياطتِه، يعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء»(٦٧).

(67) في ظلال القرآن ٤/ ١٩٨٥.

ثانيًا: الإخلاص ومراقبة الله تعالى:

وإنه مما لا يخفى أن الإخلاص هو روح العبادة وسرُّ قبولها من الله تعالى، كما أن مراقبة الله سبحانه وتعالى هي بمثابة صِمام الأمان للعبد من المعصية، وهي العاصم له من اقتراف السيئات.

فعلى الداعية أن يكون مخلصًا يبتغي رضا الله وحده، ويقصد وجه الله سبحانه وتعالى في كل ما يأتي ويَذَر، ولا يدع للشيطان فرصة يُفسد عليه من خلالها نيتَه، ولْيعلم أن المخلِص يوفقه الله ويسدده، والمرائي يَكِله الله ـ عز وجل ـ إلى نفسه ونيّته، كما أن إخلاص الداعية يجعله يشعر دائمًا بالمسؤولية عن دعوته، وبأنه صاحب رسالة، فيحرص على تجنب أي سلوك يشينه ويسيء إلى دعوته، ومن ثم يسعى دائمًا إلى أن يكون قدوة حسنة، وصورة مشرِّفة للدعوة.

ثم إن على الداعية أن يستشعر مراقبة الله تعالى ومعيّتَه، حيث إن هذا من شأنه أن يجعل منه فردًا مستقيمًا، حريصًا على عمل الصالحات، والمسارعة في الخيرات، وترك المنكرات، فإذا ما سوّلتْ للداعية نفسُه، أو زين له الشيطان أن يخالف ما يأمر الناسَ به، أو ينهاهم عنه؛ فأغلب الظن أنه ـ بمراقبته لله ـ سيتجنب مقارفةَ الإثم، والتورطَ في فعل ما يخالف قولَه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

هذا؛ والآيات والأحاديث الداعية إلى الإخلاص والمراقبة كثيرة، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٦].

وقوله جل شأنه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤].

وقوله ﷺ فيما رواه عنه عمر بن الخطاب: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى »(٦٨).

وفي حديث جبريل الشهير: «قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »(٦٩).

ثالثا: مصاحبة ذوي التقى والصلاح، واستنصاحهم:

ثم إن مصاحبة الداعية لأهل التدين والصلاح من أكبر العوامل المعِينةِ على التزامه بالعمل الصالح، والمشجِّعةِ له على أن يكون قدوة صالحة أمام الناس، وأما إذا صاحب من ليسوا من أهل التقى والاستقامة؛ فإن هذا يكون سبيلاً لتفريطه وتقصيره في حق الله، «ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهوِّن أمرَ المعصية على القلب، وتُبطل نَفْرةَ القلب عنها، وأما الحريص على الدنيا فصحبته سُمٌّ قاتل؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه،

---

(68) أخرجه البخاري في ك بدء الوحي. ب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، فتح الباري ١/ ١٥رقم ١، ومسلم في ك الإمارة ب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنية. شرح النووي ١٣/ ٥٣ ـ ٥٤ رقم ١٩٠٧.

(69) جزء من حديث رواه مسلم في ك الإيمان ب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. شرح النووي ١/ ١٥٠وما بعدها رقم ٨، وابن ماجه في المقدمة ب في الإيمان ١/ ٢٤ رقم ٦٣، كلهم من حديث عمر بن الخطاب.

فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد تزهِّد في الدنيا، فلذلك تُكرَه صحبة طلاب الدنيا، ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة » (٧٠).

ثم إن على الداعية أن يصطفيَ من أهل الصلاح والتقوى مَن ينصحون له إذا قصّر أو فرَّط، ويذكِّرونه إذا نسي أو غفِل، فإن هذا يساعده كثيرا في أن يكون قدوة حسنة.

وليس يخفى على الداعية أن المسلم مطالب بأن يتحرى لصحبته أهل الصلاح والاستقامة، وأن يتجنب مصاحبة ذوي الفساد والغواية.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تصاحِبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌّ » (٧١).

ويُروى أن عيسى عليه السلام قال: «تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم » قالوا: يا روح الله فمن نجالس؟ قال: « جالسوا من تُذكِّرُكم اللهَ رؤيتُه، ومن يزيد في عملكم كلامُه، ومن يرغِّبُكم في الآخرة عملُه» (٧٢).

ويؤكِّد عمر رضي الله عنه على التماس الصديق الذي يخشى الله تعالى،

---

(70) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٧ : ١٨٨.

(71) رواه أبو داود في ك الأدب، ب مَن يؤمر أن يجالس ٢/ ٤٤٩ رقم ٤٨٣٢، والترمذي في ك الزهد ب ما جاء في صحبة المؤمن ٤/ ١٧٧ـ ١٨٨ رقم ٢٤٠٣ وحسَّنه، وأحمد ٣/ ٤٢٨ رقم ١٠٩٤٤، والدارميُّ في ك الأطعمة ب من كَرِه أن يَطعَم طعامَه إلا الأتقياءُ ٢/ ١٤٠ رقم ٢٠٥٧، والحاكم ٣/ ١٢٨ وصححه ووافقه الذهبي.

(72) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٤ .

فيقول: « عليك بإخوان الصدق تَعِشْ في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعُدّة في البلاء، وضَع أمرَ أخيك على أحسنه حتى يجيئَك ما يَغلِبك منه، واعتزل عدوَّك، واحذَرْ صديقَك إلا الأمينَ مِن القوم، ولا أمينَ إلا مَن خشي الله، فلا تصحب الفاجر، فتتعلمَ من فجوره، ولا تُطلعْه على سِرّك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى» (٧٣).

رابعًا: استحضار الجزاء من الله تعالى:

ومما يعين الداعية على أن يكون قدوة حسنة؛ أن يستحضر ـ على الدوام ـ الجزاءَ المترتبَ على العمل، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ.

فليتذكر دائما مثوبة الله تعالى له على التزامه بحسن الأسوة، حيث ينال على هذا من الله الأجرَ الجزيلَ، والثوابَ الحسنَ الجميل.

وآيات القرآن الحكيم، وأحاديث الرسول الكريم ﷺ تُنْبِئ عن حسن مثوبة من يعمل الصالحات، لا سيما الدعاة العاملين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقول الرسول ﷺ: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده مِن غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه مِن وزرها ووزرِ مَن عمل بها مِن بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» (٧٤).

---

(73) السابق ٢/ ١٨٦ .

(74) سبق تخريجه في ص ٣٦.

وجاء عن عيسى عليه السلام أنه قال: «من علِم وعمِل وعلَّم فذلك يُدْعَى عظيمًا في ملكوت السماوات» (٧٥).

ثم ليستحضر الداعية ـ كذلك ـ عقاب الله لمن يقولون ما لا يفعلون، وقُبْحَ هذا الذنب، وما يَجُرّه على مُقترفه من غضب الله ومقته.

وقد سبق أن أوردنا نصوصًا كثيرة حول هذا الأمر منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

وقوله ﷺ: «يؤتَى الرجل يوم القيامة فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون يا فلان مالك، ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» (٧٦).

فهذا الاستحضار الدائم لحسن المثوبة على حسن القدوة، وسوء العقوبة على سوء القدوة؛ من شأنه أن يبعث في نفس الداعية ـ إن شاء الله ـ هِمّةً نحو التخلق والاستمساك بأن يكون قدوة صالحة، وحَذرًا وبعدًا من أن يكون قدوة فاسدة ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

خامسًا: استحضارُ الداعيةِ أنه عنوانٌ لدعوته ومحطُّ أنظار الناس:

ثم إن على الداعية أن يستشعر دائمًا أنه عنوان لدعوته، وممثل لها، وأنه

---

(75) إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٧ .

(76) سبق تخريجه وبيان معاني بعض كلماته في ص ١٦، ١٧.

موضع أنظار الناس، ومحل مراقبتهم، فإن وجدوه صورة حسنة وعنوانًا طيبًا لدعوته؛ كان هذا أدعَى لإقبالهم عليه وعليها، وحبِّهم له ولها، وإن أبصروا غير ذلك كان هذا باعث نفور منه ومنها، فليحذر أن يكون أداةَ تعويق للدعوة بتفريطه في أن يكون قدوة صالحة، ويكون بهذا مصدر إضرار بها قَبْل أعدائها، فهل يرضى الداعية لنفسه هذا، وأن تُؤتى الدعوة من قِبله وتُعوَّق مسيرتُها بيده ؟!

وإذا كان الداعية محطَّ أنظار الناس ـ كما أشرنا ـ فإن عليه أن يكون ذا حياء، وأن يعلم أنه ليس من المروءة ولا من الدين أن يَسقط في مهاوي الرذيلة، ويقترفَ المساوئَ أمام أنظار الخلائق، دونما اكتراث أو استحياء، فليكن له من حيائه حاجزٌ يردُّه عن أن يكون ذا سلوك فاسد، أو قدوة سيئة.

سادسًا: المطالعة في سير الدعاة العاملين، والإكثار من قراءة أخبارهم:

ثم إن في المطالعة في أخبار الدعاة العاملين الصالحين، الملتزمين بمبادئ الدين، والإكثار من قراءة سيرهم وآثارهم؛ زادًا وفيرًا للداعية، يمدّه بقوة نفسية، ويعبّئه بطاقة قوية، تحمله على أن يحذوَ حذوهم، وينحوَ نحوهم، ويقتفيَ على درب القدوة الصالحة آثارهم، وتُشعره بالأنس على طريق الدعوة إلى الله، فلا يستوحش من قلة السالكين في كثير من الأحيان، وسيتبين له كيف أن التزام أولئك الدعاة العاملين بمبدأ القدوة الحسنة قد بوّأهم رفيع المنازل والدرجات وأسمى المقامات، وكيف أنهم حازوا ـ بذلك ـ رضا الله، وظفروا بعز الدارين.

هذا، وعلى رأس مَن يطالع الداعيةُ في أخبارهم، ويقرأ في سِيَرهم من

الدعاة العاملين؛ الأنبياء والمرسلون، وبخاصة خاتُمهم محمدٌ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث إنهم أئمة الهدى، ومصابيح الدُّجى، وصفوة الله من خلقه، وأكثر الناس التزامًا وأصدقهم تطبيقًا، وأقومهم فهمًا لدين الله وشرعه، فضلاً عن أنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ معصومون من ارتكاب محظورٍ شرعيٍّ.

ثم يلي الأنبياءَ والمرسلين؛ أتباعُهم الذين ساروا على نهجهم واقتفوا آثارهم، وتمسكوا بهداهم، ومن تبعهم بإحسان، وخاصة مَن جعلهم الله سبحانه وتعالى مثلاً يحتذى للمؤمنين، مِثْل امرأة فرعون، ومريمَ ابنةِ عمران ، وآخرين مثل أصحاب الأخدود، وأصحاب الكهف، ومؤمنِ آل فرعون، بالإضافة إلى أتباع خير نبيٍّ؛ وهم صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم، فهم الجيل الرباني الذي زكّاه الله في القرآن، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وهم الذين صنعهم الرسول ﷺ بيده، ورباهم على عينه، وبَعد الصحابة يأتي التابعون لهم، وتابعوهم بإحسان إلى يومنا هذا، من السلف والخلف، رضي الله عن الجميع، وعنا معهم، اللهم آمين .

فليطالعِ الداعيةُ في سِيَر هؤلاء العظام، وأخبار أولئك الدعاة العاملين الكرام، فإنه لا شك واجِدٌ خيرًا كثيرًا، ومحصِّلٌ زادًا وفيرًا، وصحبةً مباركةً ونافعةً، تؤنسه في طريق الله، وتثبته على طاعة مولاه، وتحفزه ليكون من المخلصين العاملين بمشيئة الله.

سابعًا: مجاهدة النفس:

ثم إن الداعية بَشَرٌ فيه نوازع البشرية، وجواذب الطبيعة الطينية، بالإضافة إلى ما أودعه الله فيه من إشراقات الروحانية العلوية، فهو عُرْضة لوساوس النفس، وإغواء الشيطان وتزيين المعصية له، وقد تزِلّ قدمه، فينحرف نحو التفريط والتقصير في حق الله، والتهاون في الالتزام بأن يكون قدوة حسنة، بفعل وساوس النفس، وإغواء الشيطان، ومغريات الحياة الجاهلية وظروفها القاهرة، وقد ينتصر على هذا كله، ويتأبى على النفس الأمارة بالسوء، والشيطانِ المضِل، فينجو من المعصية والتقصير، ويثبت على طاعة الله.

من أجل هذا وغيره؛ فإن على الداعية أن يجاهد نفسه ويغالبَها حتى يَسلُس له قيادُها، وأن يبذل ما في وسعه ليُلْزِمها صراط الله المستقيمَ، ويحملَها على الوصول إلى منزلة القدوة، ودرجة من الالتزام محمودة، وليستعن بالله تعالى في هذه المجاهدة، وليلجأ إليه سبحانه في كل أحيانه، وليتجه إلى الاحتماء به تعالى كلما عرضت له حالة من الضعف البشري، مع التوبة المستمرة من التقصير وزلة القدم، والمحاسبة الدائمة أولاً بأول، وليحاول تحصين نفسه من مداخل الشيطان بالإكثار من ذكر الله، والاستغفار، مع الدعاء والرجاء في عفو الله ونصره، والصبر والصلاة.

وليستشعر الداعية لذة الطاعة وحسرة المعصية، ويستحضر ثواب المجاهدة، وعُقْبى الانتصار على النفس والشيطان.

عن سَبْرَة بن أبي فاكِهٍ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الشيطان

قعد لابن آدم بأَطْرُقِه، فقعد له بطريق الإسلام فقال: تُسلِم وتذَر دينَك ودينَ آبائك وآباءِ أبيك فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماءك، وإنما مَثَلُ المهاجر كمَثل الفرس في الطِّوَل، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: تجاهد فهو جَهْد النفس والمال، فتقاتل فتُقْتَل فتُنكَح المرأة، ويُقْسَم المال فعصاه فجاهد، ـ فقال رسول الله ﷺ ـ: فمن فعل ذلك كان حقًّا على الله ـ عز وجل ـ أن يدخله الجنة، وإن قُتِل كان حقًّا على الله ـ عز وجل ـ أن يدخله الجنة، وإن غرِق كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، أو وَقَصَتْه دابته كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة»(٧٧).

ثم ليقرأِ الداعيةُ فيما كتبه علماء السلوك والأخلاق حول المجاهدة ووسائلها وثمراتها، ويُكثرْ من المطالعة في سير أصحابها، ففي هذا إعانة له وإفادة ـ إن شاء الله ـ والله المستعان، ومنه التوفيق.

*****

(77) أخرجه النسائي في ك الجهاد ب ما لمن أسلم وهاجر وجاهد ٦/ ٢٢، وأحمد ٤/ ٥٣٣ رقم ١٥٥٢، وقد صحح الحافظ العراقي إسناده (المغني بهامش إحياء علوم الدين ٣/ ٣٢).
قال أبو الحسن نورُ الدين السنديُّ (المتوفَّى ١١٣٨هـ) في حاشيته على سنن النسائي (مطبوع مع السنن ٦/ ٢٢): «وإِنَّما مثل المُهَاجر كَمثل الْفرس في الطِّوَل»: بِكَسْر الطَّاء وفتح الواو، وهُو الحَبل الذي يُشَدّ أحد طَرَفَيْه في وتَدٍ والطرف الآخر في يَد الفرس، وهذا من كلام الشَّيطان، ومقصودُه أَن المُهَاجر يصير كالمقيَّد في بلاد الغربة لا يَدُور إلا في بيته ولا يخالطه إلا بعضُ معارفِه، فهو كالفرس في طِوَل لا يَدُور ولا يَرْعَى إلا بقَدْرِه، بخِلاف أهل البِلاد في بلادهم فإنّهم مبسوطون لا ضيق علَيهِم، فأحدهم كالفرس المُرسَل، «فهُو جَهْد النَّفس» بفَتْح الجيم بمَعنى المشقَّة والتعب».

الفصل الرابع
أثر القدوة في الدعوة إلى الله تعالى

إن الداعية حينما يكون قدوة صالحة في إيمانه وعبادته وأخلاقه ـ على نحو ما ذكرنا سابقًا ـ يصير لهذا أطيب الآثار عليه وعلى دعوته، وأما إذا كان غير ذلك، بأن كان أسوة غير حسنة، وقدوة فاسدة؛ كانت الآثار عليه وعلى الدعوة ضارة سيئة.

وسنشير هنا ـ بتوفيق الله ـ إلى بعض آثار تحلي الداعيةِ بحسن القدوة، ثم بعضِ الآثارِ الأخرى الناتجةِ عن غياب حسنِ القدوةِ على الداعية والدعوة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: من آثار القدوة الصالحة:

أ ـ إرضاء الله تعالى، والفوز بمثوبته:

حينما يكون الداعية قدوة صالحة، وصورة صادقة مخلصة لما يدعو إليه من مبادئ الإسلام الحنيف، فإنه يحوز رضا الله تعالى، وينال مثوبته سبحانه، وذلك أن الله قد وعد في كتابه الكريم بجزيل الأجر وعظيم الثواب لمن يتبع هداه عز وجل، حيث قال سبحانه: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

وقال جل وعلا: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٥ ـ ٧٦].

كما أن الداعية إذا وُفِّق للالتزام بشرع ربه ؛ كان عند الله تعالى في أعلى الدرجات، وأسمى المنازل، وهل هناك أسمى من أن ينال محبة الله، وينعمَ بالقرب من مولاه جل في علاه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» (٧٨).

فليكن الداعية حريصًا على استشراف تلك الدرجات العلى والمنازل الراقية، فيسمو بنفسه دائمًا إلى مراقي الكمال، ومشاهد العظمة والجلال.

ب ـ نيل احترام المدعوين، وكسب ثقتهم:

ثم إنه من المعلوم ـ كما أشرنا من قبل ـ أن الداعية هو محط أنظار الناس، وموضع مراقبتهم ومتابعتهم، فإذا رأوه قدوة صالحة؛ كان جديرًا باحترامهم، وأهلا لثقتهم وتقديرهم، وحظِيَ برصيد كبير من حُب المدعوين، وكان له في نفوسهم الإكبار والتوقير.

والناس دائمًا يأسِرُهم الشيءُ الجميل، ولا شيءَ أجملُ في عيون الناس من مظهرِ داعيةٍ ملتزمٍ بمبادئ دعوته، متجمّلٍ بمكارم الخلق، متزيّنٍ بلباس التقوى.

---

(78) رواه البخاري في ك الرقاق، ب التواضع. فتح الباري ١١/ ٣٤٨ رقم ٦٥٠٢.

ولقد كان رسول الله ﷺ يحظى بثقة العدُوّ قبل الصديق، واحترام البعيد قبل القريب، لاستقامته وحسنِ سيرتِه، وكونه ﷺ أسوة حسنة، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

بل إن الكفار ما اعترضوا عليه لعِوَج في شخصيته، أو انحرافٍ في سلوكه ـ حاشاه ﷺ ـ ولكن لأسباب نفسية أخرى، كتلك التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] .

ومعلوم أنه ﷺ كان مشهورًا قبل البعثة بالصادق الأمين، ولم يسَعِ الكفارَ أن ينكروا هذا حتى وهم مناوئون له، فشهدوا له أيضًا بعد البعثة بالصدق والأمانة.

ولما قدِم أبو سفيانَ على «هِرَقْل» ملكِ الروم بالشام، في فترة صلح الحديبية ـ الذي تم في أواخر السنة السادسة من الهجرة، ولم يكن أبو سفيان قد أسلم يومئذ ـ؛ سأل هرقلُ أبا سفيانَ قائلاً: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا .. ثم علّق هرقل على هذا الجواب قائلاً: وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرتَ أن لا. فقد أعرِفُ أنه لم يكن لِيذَرَ الكذبَ على الناس ويكذبَ على الله(٧٩).

وإذا تأمّلنا في رحلة سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه من النصرانية إلى

---

(79) رواه البخاري في ك بدء الوحي، ب حدثنا أبو اليمان ، فتح الباري ١/ ٤٢ ـ ٤٣ رقم ٧، ومسلم في ك الجهاد، ب كتب النبي ﷺ إلى هِرَقْل، مسلم بشرح النووي ١٢/ ١٠٣ وما بعدها، رقم ١٧٧٣، وأحمد ١/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ رقم ٢٣٦٦.

الإسلام؛ لتبين لنا إلى أيّ مدىً يمكن أن يؤثّر الداعيةُ القدوةُ في نفوس المدعوين، وكيف يأسِرُهم ويمتلك شَغَافَ قلوبهم بحسن سيرته واستقامته.

وفي هذا يقول سلمان رضي الله عنه ـ حكاية عن الأسقف الصالح الذي كان يقيم معه، ويتأسى به ويتعلم منه ـ: «فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس، أرى أنه كان أفضلَ منه وأزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة، ولا أدْأَبَ ليلاً ونهارًا منه، قال: فأحببتُه حبًّا لم أحبَّه شيئًا قبله»، وهكذا كان شأن سلمان مع الأُسْقُفَين الصالحَين الآخرَين (٨٠).

ج ـ قوة التأثير في المدعوين، وإقبال الناس على الدعوة:

ولا شك في أن لسان الحال عند داعية قدوة، يكون أبلغَ من لسان المقال لدى آخر ليس بقدوة، وقد قيل: «حالُ رجلٍ في ألف رجلٍ خيرٌ مِن وعظ ألفِ رجلٍ في رجل»، وهذه العبارة وإن كانت ليست على إطلاقها؛ لأن الفعل ليس أبلغَ مطلقا من القول ـ كما قال ابن حجر في كلام سنورده بعد قليل ـ؛ لكنه إشارة إلى التأثير القويِّ الفعالِ الذي تحدثه القدوة في نفوس المدعوين، وهذا واقع؛ فحديثُ داعيةٍ زاهدٍ عن الزهد له مذاقٌ طيّب لا تتلاشى حلاوته لدى المدعوين، وحديثُ داعيةٍ كريمٍ عن الكرم يأخذ طريقَه صَوب القلوب فيدخلها دون حواجزَ أو معوقات، وشتان بين خطيبٍ صالحٍ يدعو الناس إلى الاستقامة، وبين آخر تَقعُ أعين الناس

(80) السيرة النبوية لابن هشام. ١/ ٢١٦، ٢١٧. تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الوفاق، بيروت.

منه على ما لا يُرضِي الله.

إن الداعيةَ القدوةَ يتأثر الناس بدعوته، ويتفاعلون معه، فإذا بهم ينهضون مجيبين له، ومنفِّذين لما يدعوهم إليه، وينصحهم به، حيث إن القول يتعزز ويتقوّى بالفعل.

ومن أظهر الدلائل على هذا ما وقع في صلح الحديبية ، حين أمر النبيُّ ﷺ المسلمين بالنحر والحلق، فلم ينهض أحد، فلما قام النبي ﷺ يفعل ذلك عمليًّا أمامهم ـ أخْذًا بمشورة أمِّ سلمة رضي الله عنها ـ سارعوا إلى الاقتداء به ﷺ.

فقد جاء في الحديث: « فلما فرغ من قضية الكتاب [٨١] قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « قوموا فانحروا ثم احلقوا »، قال: « فو الله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلِّم أحدًا منهم كلمة حتى تنحرَ بُدْنك، وتدعوَ حالقَك فيحلقَك، فخرج فلم يُكلِّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك؛ نَحَرَ بُدْنه، ودعا حالقَه فحلَقَه، فلما رأَوْا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضُهم يَحلِق بعضًا، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضًا غمًّا» [٨٢].

قال ابن حجر: وفيه فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان

---

(81) أي كتاب الصلح بين النبي ﷺ وبين قريش.

(82) رواه البخاري في ك الشروط. ب الشروط في الجهاد. فتح الباري ٥/ ٣٨٨ ـ ٣٩٢ رقم ٢٧٣١ ، ٢٧٣٢.

أبلغَ من القول، وليس فيه أن الفعل مطلقًا أبلغُ من القول [٨٣].

والمتأمل في سِيَر الدعاة إلى الله، وفي مُقدِّمتهم صحابة رسول الله ﷺ، ثم تابعوهم بإحسان من السلف ومَن بعدَهم رضي الله عنهم، يجد أن التزامهم العمليَّ بمبادئ الإسلام كان سببًا في إقبال الناس على الدعوة، واعتناق الدين الحق.

عن الشعبيِّ قال: وجد علي بن أبي طالب دِرْعَه عند رجل نصرانيٍّ، فأقبل به إلى شُرَيح يخاصمه، قال: فجاء عليّ حتى جلس جَنْبَ شريح .. ثم قال: هذا الدرع درعي، ولم أبِع ولم أهَب، فقال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت شريح إلى عليٍّ فقال: يا أمير المؤمنين هل من بيِّنة؟ فضحك عليٌّ وقال: أصاب شريح، ما لي بينة، فقَضَى بها شريح للنصراني.

قال: فأخذه النصراني ومشى خُطىً ثم رجع فقال: أمّا أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أميرُ المؤمنين يَدِيننني إلى قاضيه يقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعتُ الجيش وأنت منطلق إلى صفين، فخرجَت من بعيرك الأَوْرَق [٨٤]، فقال: أمَا إذْ أسلمتَ فهي لك، وحمَله على فرس.

---

(83) فتح الباري ٥/ ٤٠٩.

(84) الأَوْرَقُ من الإبِل: مَا فِي لوْنه بياضٌ إلى سَوادٍ. والوُرْقَة: سَوادٌ فِي غُبْرة، وَقيل: سَوادٌ وبَياض كدُخان. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى ١٢٠٥هـ) ٢٦/ ٤٦٤، دار الهداية.

قال الشعبيُّ: فأخبرني من رآه يقاتل الخوارج يوم النهراون [٨٥].

ولقد كان سلوك المسلمين، وحسن تطبيقهم للإسلام يوم فتح مكة؛ مما جذَب «هندًا بنتَ عتبة» زوجَ «أبي سفيان» نحو الإسلام، وحمَلها على اعتناقه.

فقد جاء في الخبر أنها أرادت الذهاب إلى رسول الله ﷺ لتبايعه، فقال لها أبو سفيان: قد كنتِ بالأمس مكذِّبة بهذا الأمر، فقالت: والله ما رأيتُ الله عُبِد حقَّ عبادتِه بهذا المسجدِ قبلَ هذه الليلةِ، والله لقد باتوا كلُّهم يُصلُّون فيه [٨٦].

هذا؛ «والتاريخ يسطّر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان، وجزر لكديف ومالاديف في المحيط الهندي، وإلى التبت وإلى سواحل الصين، وإلى الفلبين، وجزر أندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو ... ووصل إلى أواسط إفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا، ومدغشقر وزنجبار، وغيرها من البلاد؛ وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجارٍ مؤمنين أَعطَوُا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم، وأمانتهم ووفائهم وصدقهم» [٨٧].

---

(85) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ٨/ ٥، تحقيق د/ أحمد أبو ملجم وآخرين. دار الريان للتراث القاهرة. ط الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

(86) السابق ٧/ ٥٢.

(87) حتى يعلم الشباب ، عبد الله ناصح علوان، ص ١٢٥: ١٢٦، دار السلام. القاهرة. ط الخامسة ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.

د ـ تثبيت الناس على الحق:

ومن آثار التزام الداعية بحسن القدوة؛ أنه يكون عاملَ تثبيت للناس على الصراط المستقيم، وتمسِّكِهم بالحق، حيث يتأثرون به فيحذون حَذْوه، ويفعلون مثل فعله.

ألا ترى أن ثبات الراهب المؤمنِ بالله تعالى، والذي ورد ذكره في قصة أصحاب الأخدود؛ كان مشجِّعًا للغلام على الثبات أمام جبروت الملك الكافرِ المتألِّه، وأن ثباتَ الغلام، وتمسّكَه بما يدعو إليه من توحيد الله، وعدمَ تراجعِه عن الحق الذي آمن به؛ جعله قدوة حسنة في الثبات على المبدأ، ثُم كان هذا سببًا في إيمان وثبات شعبٍ بأكمله، دون ما خوف من التهديد، ولا أقسى العقوبات وأشَدها، حتى وإن كانت الإحراقَ في النار للمؤمنين بالله وهم أحياء (٨٨).

وفي غزوة حنين، حين ولّى المسلمون ـ أولَ الأمر ـ مدبرين، بسبب مباغتة قبيلة «هوازن» لهم، وهجومِها عليهم فجأة في عَماية الصُّبح (٨٩)؛ حين حدث ذلك من المسلمين ثبت رسول الله ﷺ، ثم قال: «أين أيها الناس؟ هلُمُّوا إليّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله»، والمسلمون قد انفضوا راجعين لا يلوي أحدٌ على أحد، وتفرقوا في الوادي، فكان هذا الثبات منه ﷺ سببًا في بقاء نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته حوله، ثم قال ﷺ: «يا عباس اصرُخ: يا معشر الأنصار، يا معشر أصحاب

---

(88) قصة أصحاب الأخدود أخرجها مسلم في ك الزهد، ب قصة أصحاب الأخدود ... شرح النووي ١٨/ ١٣٠ : ١٣٣ رقم ٣٠٠٥، وسيأتي ذكر الحديث بتَمامِه في ص ٨٦ : ٨٨.

(89) أي في بَقيّة ظُلْمة الليل. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣٠٥.

السّمُرة [٩٠]»، فأجابوا لبيك لبيك، حَتّى إذَا اجْتَمَعَ إلَيْهِ مِنْهُمْ مِئَةٌ اسْتَقْبَلُوا النّاسَ فَاقْتَتَلُوا، فَنَظَرَ ﷺ إليهم و قال: «الْآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ(٩١)»، وتراجع بقية المنهزمين واشتدّ القتال، وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وكانت الدائرةُ والهزيمة على المشركين [٩٢].

وهكذا اقتدى الناس برسول الله ﷺ، وثبتوا بثباته في ذلك الموقف العصيب.

هـ ـ توريث القدوة الحسنة على طريق الدعوة:

هذا؛ ولكل داعية ـ في الغالب ـ تلامذة ومريدون، وحَوْله ناشِئةٌ من دُعاة المستقبَل، ولا سيما إذا كان من الدعاة المعروفين، الذائعي الصيت، فإذا كان متحقِّقا بحسن القدوة أمام تلامذته؛ غرس فيهم هذا الخلقَ، وأَوْرثَهم إياه، وصار نبراسًا مضيئًا لهم على طريق الدعوة، وكان هذا سببا في أن يَحذُوا حَذْوه، ويحرصوا على أن يكونوا مثلَ شيخهم علمًا وعملاً ودعوة.

وإنني في هذا المقام أذكر بكل الفخر والاعتزاز، أساتذةً دعاةً أكرمنا

---

(٩٠) أَصْحَابُ السّمُرَةِ: هُمْ أَصْحَابُ بَيْعَةِ الرّضْوَانِ الّذِين بايَعُوا تَحْتَ الشّجَرَةِ، وكانت الشجرة سَمُرة. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى ٥٨١هـ) ٧/ ٢١٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت . ط الأولى ١٤١٢هـ . والسَّمُرُ: هُوَ ضربٌ مِنْ شجَرَ الطَّلح، الْوَاحِدَةُ سَمُرَةٌ. النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٩٩.

(٩١) الوَطِيسُ: التَّنُّور، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ شِدّة الأمرِ واضْطِرام الحَرْب. وَيُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ أوّلُ مَنْ قَالَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا اشْتَدَّ الْبَأْسُ يَوْمَئِذٍ وَلَمْ تُسْمَعْ قَبْلَهُ، وَهِيَ مِنْ أحسن الاسْتِعارات. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤٤٧.

(٩٢) انظر: السيرة النبوة لابن هشام ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٥.

الله بهم؛ قد ربَّونا في ساحة الدعوة، وأخذْنا منهم علمًا وفيرًا، وورِثنا عنهم خُلقًا عظيمًا، ولا نزال نذكر مواقفَهم العمليةَ في الدعوة إلى الله، وسلوكَهم الراقي في التعامل مع الناس، ونتخذ منها زادًا على الطريق، حيث كانوا قدوة صالحة في كل المجالات؛ فكانوا قدوة أمامنا في مجال الإيمان اعتقادًا وفهمًا صحيحًا، وفي ظهور آثار الإيمان العظيمة عليهم، مثل الإيمان بالقدَر، والثبات في وجه المحن، والثقة في الله تعالى، وكانوا قدوة في مجال العبادة، كما كانوا مضرِبَ المثل في التحلي بمكارم الأخلاق، والعمل الدءوب للإسلام ودعوته، فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

من مشايخنا الذين كانوا قدوة حسنة على طريق الدعوة:

وأَذكُر من هؤلاء الكرامِ الأعلام:

١ـ أستاذَنا العالمَ العامِلَ الداعيةَ الشيخَ «عبدَ الجوّاد مُحرَّم» يرحمه الله، الذي كان أحدَ أبرزِ معلِّمينا ومربِّينا في مدينة «كفر صقر» من محافظة الشرقية، وأشير هنا إلى جانب واحد من جوانب القدوة لديه ـ رحمه الله ـ وهو اجتهاده في العبادة؛ فقد كان يقوم من الليل متعبِّدا متبتِّلا خاشعا لمولاه، مع أن جِسْمه كان قد أثقله المرضُ والتعب، إذْ قد نالت منه السنونَ وتقدَّم به العمر، بالإضافة إلى عِظَم آثارِ ما أصابه من الابتلاءات والمحن؛ حيث كان رحمه الله ممن ابتُلُوا في الله على يد طاغية مصر الشيوعيِّ العلمانيِّ «جمال عبد الناصر»، وقضى في غياهب السجون ما يزيد على خمسة عشر عاما، لا لذنب إلا أنه كان من الدعاة العاملين الداعين إلى تطبيق شرع الله، حتى إنه أُصيب بشلل في بعض أطرافه من شدّة التعذيب الوحشيِّ في

سجون الطاغية، ومع هذا كنا نرى من نشاطه في قيام الليل في أثناء الاعتكاف ونحوِه من الليالي الإيمانية التربوية ـ التي هي جزءٌ من منهج التربية عند الإخوان المسلمين ـ ما كنا نَعْجِز ـ نحن الشبابَ ـ عن مجاراته فيه.

٢ـ ومنهم: أستاذي العالم الربّانيّ الفقيه، بقية السلف، المحدِّث الداعية الأستاذ الدكتور «السيد نوح» يرحمه الله، الذي كان ـ فيما أَحْسَبُهُ ـ قرآنا يمشي على الأرض إيمانا وعبادة وأخلاقا، مع سَعة في العلم والفهم، وهِمّةٍ عالية في فعل الخير، وقد كان رحمه الله رقيقَ القلب، كثيرَ البكاء من خشية الله إذا صلى أو حدّث، مهمومًا بدعوته، وبمشكلات أمته، وكان يُعدُّ ـ بحق ـ من أبرز العلماء العاملين الذين حملوا لواء الدعوة الإسلامية في كل المحافل في عصرنا الحاضر، وكانت جهودُه العلميةُ والدعويةُ والتربويةُ أكثرَ مِن أن تُحصَى، وقد نفع الله بها، ولا يزال يَنتفع بتراثه المتنوِّعِ الثَّرِيِّ خَلقٌ كثيرون في الشرق والغرب، وتكفي الإشارة هنا إلى كتابه القيّمِ المبارَكِ «آفات على الطريق» ـ في أربعة أجزاء ..

٣ـ ومنهم: أستاذي العالم الفقيه الداعية المربِّي المجاهد صاحب الفضل الأستاذ الشيخ «ماهر عقل» يرحمه الله، الذي كان كالغيث المبارَك؛ أينما حلّ نفعَ الله بعلمه وعمله وخُلقه، وكانت جهوده في العمل للإسلام والدعوة إليه ـ على بصيرة ـ داخليا وخارجيا عظيمةً وواسعةً، وكان يصدع بكلمة الحق في كافة المواطن والأحوال، وبخاصة أمام الظالمين والطغاة وأعوانهم، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولا يترك الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المنكرِ في مختلف المناسبات، وكان اللهُ عز وجل قد كساه لِباس العِزّةِ والوقار، كما كان مثالا

للعالم الداعيةِ الذي يعمل بعلمه ويطبّق ما يدعو إليه، لا سيما في مجال الأخلاق، ولذلك كان لدعوته القَبولُ، ولكلامِه ولشخصِه التقديرُ، حتى ممن يختلفون معه في الرأي.

وكان زاهدًا، لا يُبالي بالدنيا وعَرَضِها، مع عنايته بحُسن المظهر، موصولا بربه في ليله ونهاره، فكان يُكثر من ذكر الله لا يَفْتُر، وكان صوّاما قوّاما، حتى إن الله أكرمه فقبضه إليه وهو صائم، فكانت بشرى دالةً على حسن خاتمته، حيث روى حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ خُتِمَ لَهُ بِصِيَامِ يَوْمٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٩٣) . . رضي الله عنهم وعن سائر شيوخنا، وعنّا معهم أجمعين.

و ـ إثبات واقعية مبادئ الإسلام وقابليتها للتطبيق:

ثم إن هناك من الناس من يحتجّ بأن مبادئ الإسلام أقرب إلى المثالية منها إلى الواقعية، وأنْ ليس في طاقة الناس اليوم تطبيقُها أو التحقُّقُ بها، وأن أجيال اليوم معذورون إذا لم يتمسكوا بتعاليم الإسلام، ويلتزموا بأحكامه، فإذا قيل لهم: هؤلاء الصحابة والتابعون كانوا في غاية الالتزام والتحقّق بمبادئ الإسلام، وهُم بَشَرٌ مثلُنا؛ قال قائلُهم: وأين نحن ـ أبناءَ اليوم ـ من الصحابة والتابعين، فظروفنا غير ظروفهم، وإمكاناتنا دون

---

(٩٣) أخرجه البزارُ (٧/ ٢٧٠ رقم ٢٨٥٤)، وأحمد (٣٨/ ٣٥٠ رقم ٢٣٣٢٤) ـ وصححه محققه شعيب الأرنؤوط ـ، والبيهقيُّ؛ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (المتوفى٤٥٨هـ) في الأسماء والصفات (٢/ ٨٤ رقم ٦٥١)، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة - السعودية، ط الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، وعند أحمد والبيهقي زيادة، ونَصُّ روايتهما: عن حذيفة رضِيَ الله عنه قال: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

إمكاناتهم، فنحن لا نستطيع أن نكون مثلهم ... ونحو هذا الكلام.

فإذا ما كان الدعاة إلى الله قدوة حسنة في الالتزام بالإسلام أمام بني عصرهم وأهل زمانهم؛ استطاعوا أن يُثبِتوا للناس أن المبادئ التي تنادي بها الدعوة: مبادئُ واقعيةٌ، وليست فوق طاقة المدعوِّين والمخاطبين بها، ولا خارج إمكاناتهم، وأن الناس اليوم مخاطبون بها، وبإمكانهم تطبيقها كما كان شأن الصحابة والتابعين، وينقطع - بهذا الالتزام من جانب الدعاة - الزعمُ بأن أبناء اليوم ليس في إمكانهم التحقق بمبادئ الدين الحنيف، كيف والدعاة أمامهم قد التزموا بها، وساروا على منهجها في شتى المجالات، والحال أنهم ليسوا بمعزل عن واقع المدعوين وظروفهم.

وأنا أعرف كثيرين من دعاة الإسلام المعاصرين، قد وفقهم الله لتطبيق تعاليم الإسلام، والتحقق بها في شتى المجالات، فكانوا في التزامهم كالسلف الصالح، وكانت مواقفهم العملية تذكر بمواقف الصحابة، فمنهم من يذكرنا في صبره وتجلّده وتعاليه على المحن وتمسكه بدينه؛ ببلال وعمار وياسر وخبيب، ومنهم من يذكرنا في سخائه في البذل ابتغاء مرضاة الله؛ بعثمان وأبي بكر وعبد الرحمن بن عوف، ومنهم من يذكرنا في زهده وقناعته وانصرافه عن زينة الدنيا؛ بمصعب بن عمير، والحسن البصري وإبراهيم بن أدهم.

هؤلاء الدعاة الموفَّقون معاصرون لنا، منهم من حُدِّثنا عنهم، ومنهم من رأيناه رأْيَ العين، وتعلمنا ولا نزال نتعلم منهم الثبات والالتزام، والجِدَّ والاجتهاد في التحقق بمبادئ الإسلام، وكان حالُهم في حسن القدوة دعوةً

للناس من أهل زمانهم؛ أن قوموا وانهضوا، وتمسكوا بعرى الإسلام، فهؤلاء بشر مثلُكم، يعيشون في زمانكم، وهم واقعون مثلَكم تحت ضغط مؤَثِّرات عصرِكم، قد تجسّد الإسلام واقعًا عمليًا في حياتهم، ونموذجًا حيًّا في سلوكهم.

وحقًّا ما يقول أحد العلماء الدعاة: «إن القدوة تُخرِج نظريات الدعوة إلى الله من حيّز التجريد إلى حيز الواقع المشاهد الملموس، ومن الكلام إلى التنفيذ، وهي في الوقت نفسه دعوة مصحوبة بالدليل والبرهان على إمكان التطبيق.

ولا أجد داعيًا لأن أذكّر بأن عشرات النظريات في تاريخ الإنسانية ماتت واندثرت؛ لأنها لم تستوف عناصر الإمكان والتطبيق، ولم يجد المدْعُوّون إليها نماذج بشرية تعطى القدوة بها» (٩٤).

زـ السعادة النفسية والطمأنينة القلبية للداعية:

ثم إن الداعية القدوةَ، الملتزمَ بتعاليم الدينِ إنما هو عبدٌ صالحٌ طائعٌ لله، وهذا يفيض عليه من رحمة الله ما يجعله سعيدًا آمنًا في نفسه، فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وقال جل شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ١١]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ

(94) فقه الدعوة الفردية، د/ علي عبد الحليم محمود، ص ١٤٠. دار الوفاء. المنصورة. ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

وهذا الشعور بالسعادة ولذّةِ الطاعة لا يعرفه إلا من ذاقه، كما قيل: (من ذاق عرف، ولا يَعرِف الشوقَ إلا مَن يُكابِده)، فهو في نعيم مُصفّى، وحاله ـ كما يقول ابن القيم ـ: «يرقُص قلبُه طربًا وفرحًا، وأُنسًا بربّه، واشتياقا إليه، وارتياحًا بحبّه، وطمأنينةً بذكره، حتى يقولَ بعضهم في حال نَزْعِه: واطَرَباه!، (وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِنَّهُ لَيَمُرُّ بِالْقَلْبِ أَوْقَاتٌ، أَقُولُ): إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال، إنّهم لفي عيش طيب!!، (وَقَالَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ): مساكينُ أهلُ الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها، وما ذاقوا أطيب ما فيها، (قَالُوا: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: مَحَبَّةُ الله، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَمَّا سِوَاهُ)! ويقول الآخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالَدونا عليه بالسيوف، (وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ يَقُولُ): إنّ في الدنيا جَنةً، من لم يدخلها لم يدخل جنةَ الآخرة، (وَكُلُّ مَنْ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ يَشْهَدُ هَذَا وَيَعْرِفُهُ ذَوْقًا)» (٩٥).

جعَلَنا الله من عباده الصالحين، المستقيمين على الإيمان والطاعة.

---

(95) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، ص ١٨٦: ١٨٧، حققه: محمد أجمل الإصْلاَحي، خرج أحاديثه زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط الأولى ١٤٢٩هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية ١/ ٤٥٢، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م. والكلام المشكول بين الأقواس مأخوذ من المدارج.

ثانيًا: من آثار غياب القدوة الحسنة:

تلك بعض الآثار الطيبة للقدوة الحسنة، فإذا ما غابت القدوة الصالحة، وأُهمِلت من قِبَل الدعاة إلى الله، كان لذلك أسوأ الآثار على الداعية ودعوته، وهذه الآثار ـ بإجمال ـ هي عكس الآثار المترتبة على حسن القدوة، وأما في بعض تفاصيلها فمنها ما يلي:

أ ـ إغضاب الله تعالى:

إن في مقدمة الآثار السيئة لِتَرْك القدوة الحسنة؛ إغضابَ الله تعالى ـ والعياذ بالله ـ حيث إن الداعية إن فرّط في الالتزام بحسن القدوة يكون قد أتى معصية كبيرة، وجريمة خطيرة، ولِمَ لا وقد قال الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥ـ١٧٦].

بل إن الداعية حينما لا يكون قدوة حسنة؛ تزداد سيئاته وتعظم أوزاره؛ حيث إن غيره يقلده في إتيان المعاصي وقبيح الفعال، فيكون بذلك قد أضل الناس، وتحمّل وزر هذا الإضلال، بالإضافة إلى وزر ضلاله هو، قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «مَنْ دعا إِلَى هُدًى، كان له مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك مِنْ أُجُورِهِم شيْئًا، ومَنْ دعا إلى ضَلالَةٍ، كان عليهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثام مَنْ تَبِعَهُ، لا يَنْقُصُ ذلك

مِنْ آثامِهِم شيْئًا»[٩٦].

ب ـ قلة احترام المدعوين للداعية، وضعف تأثيره فيهم:

ومن آثار غياب القدوة الحسنة أن احترام الناس للداعية يَقِلّ، إن لم يُفْقَد ويَضِعْ، ومن ثَمّ فإن تأثيره فيهم يضعفُ، بل قد يتلاشى، ويصير محلَّ سَخَطِهم عليه وكراهيتِهم له، ويكون قد ضيّع من يديه أخطرَ وأهمَّ وسيلةٍ في التأثير على الناس واستمالةِ قلوبِهم نحوَه، ألا وهي الالتزام العمليُّ بالدين.

ولا عجب؛ فما كان الناس ليحترموا من يُسيء العمل، وإن كان يحسن القول، أو يتأثروا بكلماته المتناقضة مع واقع حاله، وما كان الناس أبدًا ليُعجَبوا بمَن ينمِّق الكلام، ويَتدنَّى في السلوك والفعال، فهو في نظرهم سيء مهما كان له باع في الفصاحة والبيان، وتدبيج العبارات.

قال الزُّهْريُّ: «لا يرضيَنّ الناسُ قولَ عالمٍ لا يعمل، ولا عاملٍ لا يعلم»[٩٧].

وقال مالك بن دينار: «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن

---

(96) أخرجه مسلم في ك العلم ب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة. شرح النووي ١٦/ ٢٢٧ رقم ٢٦٧٤، وأبو داود في ك السنة ب لزوم السنة ٢/ ٣٩٨ رقم ٤٦٠٩، والترمذيُّ في ك العلم ب من دعا إلى هدى فاتُّبع أو إلى ضلالة ٤/ ٣٠٧ رقم ٢٦٨٣ وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في السنن، المقدمة ب من سن سنة حسنة أو سيئة ١/ ٧٥ رقم ٢٠٦، وأحمد ٣/ ١٠٩ رقم ٨٩١٥.

(97) اقتضاء العلم العمل ص ٢٥.

القلوب كما يَزِلّ القَطْرُ عن الصفا» [٩٨].

وفي قصة سلمانَ الفارسيِّ رضي الله عنه ـ التي يروي فيها رحلته إلى الإسلام ـ أنه عاش في الشام مع أحد رجال الدين الذين يخالف فعلهم قولهم، وسلوكهم كلامهم، وأن هذا جعل ذلك الرجلَ محلَّ كراهيةِ سلمانَ له، وكراهيةِ الناسِ وسَخَطِهم عليه سَخطًا قَلّ أن يكون له نظير، حيث بلغ بهم من كراهيتهم له أنْ رجموه بالحجارة بعد موته، حينما علموا بقبح سيرته، ودناءة مسلكه.

وفي هذا يقول سلمان: ثم خرجْتُ معهم حتى قدمْتُ الشام، فلما قدمْتُها، قلت: مَن أفضلُ أهلِ هذا الدين علمًا؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

قال: فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك، وأخدمَك في كنيستك، فأتعلمَ منك، وأصليَ معك، قال: ادخل، فدخلت معه، قال: وكان رَجلَ سَوْء يأمرهم بالصدقة، ويرغّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمَع سبعَ قِلالٍ من ذهب وورِق، قال: فأبْغضْتُه بغضًا شديدًا لِما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمع إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رَجلَ سَوْء، يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعط

---

(98) إحياء علوم الدين ١/ ٧٩. والصفا: جمع صفاة، وهي الحجر العريض الأملس. راجع المعجم الوسيط ١/ ٥٣٧.

والمعنى أن موعظةَ مَن لم يعمل بعلمه هيهات أن تقعَ مِن نفوس الناس موقعَ القبول، وسُرْعان ما يَذهب أثرُها مِن القلوب، كما أن قطراتِ المطرِ لا تستقر على الحجر الأملسِ، بل تُسرع في التسرّب والابتعادِ إذا سقطت عليه.

المساكين منها شيئًا، قال: فقالوا لي: وما عِلْمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلّكم على كنزه، قالوا: فدُلّنا عليه، قال: فأريتُهم موضعه، فاستخرجوا منه سبعَ قلالٍ مملوءةٍ ذهبًا وورِقًا.

قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدًا، قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجُلٍ آخرَ فجعلوه مكانه (٩٩).

وأحيانا نسمع أو نرى في الواقع أناسًا ممن يتصدرون المجالس والمنتديات للحديث والخُطَب، وهم ليسوا قدوة حسنة في سلوكهم أمام الناس، فإذا هم يسقطون من الأعين، ويَنفِر الناس من حديثهم، بل ويشمئزون مما يلاحظونه عليهم مِن سوء القدوة، والتناقض بين الأقوال والأفعال.

وهكذا الناس أبدًا يمقتون مَن يجعل الكلام حِرفتَه وصَنعتَه، بينما يدنِّس بقبيح الفِعال سلوكَه وسِيرتَه.

ج ـ فتنة الناس، والصد عن سبيل الله:

وإذا كان الناس يُقبِلون على الدعوة، ويعتنقون مبادئها في حال وجود القدوة الحسنة؛ فإنهم يَنفِرون من الدعوة التي لا يتحلى أفرادُها المنتسبون إليها عامة، ودعاتُها خاصة بحسن الأسوة، وينصرفون عنها.

ولننظر إلى أسباب انصرافِ بعضِ الأوروبيين اليومَ عن الإسلام وصدودِهم عن دعوته؛ فسوف نجد أن من أهم أسباب ذلك القدوةَ السيئةَ التي يظهر بها بعض المسلمين ـ عامة ـ والعرب ـ خاصة ـ أمام

(٩٩) السيرة النبوية ١/ ٢١٥ : ٢١٦.

الأوروبيين، ويزداد الأمر سوءً حينما تُسلِّط وسائلُ الإعلام المعاديةُ للدعوة الإسلامية في الداخل والخارج الضوءَ على السلوكيات المنحرفةِ لبعض المسلمين، وتَعمِد إلى تضخيم الصورة أكثر من اللازم، لتتكون في النهاية دعايةٌ سوداءُ سيئةٌ وضارةٌ ضدَّ الإسلامِ وكلِّ ما يمُتُّ إليه بصلة.

ثم إننا نرى في الواقع بعضَ العوَامِّ يفرِّطون في التمسك ببعض تعاليم الدين، ويقعون في بعض المخالفات الشرعية، متعلِّلين بأنّ العالِمَ الفلانيَّ يفعل ما يفعلون، ويقترف ما هم مقترفون، فكيف يكون ما يفعلونه حرامًا؟

ومن الأمثلة على هذا الأمر؛ عادةُ التدخينِ المرذولةُ شرعًا وعقلاً، حيث يتعاطى كثيرٌ من الناس الدخان بحجة أن من المشايخ والعلماء من يفعله.

ومن هذا القبيل أيضًا أن بعض الناس لا يُلْزِم بناتِه أو زوجتَه بالحجاب الشرعيّ، الذي ألزم به اللهُ ورسولُه نساء وبناتِ المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩]، فإذا ما نُصِح بشأن تفريطه في أَمْر الحجاب؛ قال: إنه يفعل ذلك لأنه يرى بعض المنسوبين إلى العلم لا تَلتزِم زوجتُه أو بناتُه بذلك، فلو كان حرامًا ما تَركَهُنّ يتخلَّيْن عن ارتداء الحجاب(١٠٠).

---

(100) يَزعم بعضُ المعاصرين مِن الذين يبحثون لأنفسهم وذويهم عن ذريعةٍ أو مخرجٍ يُسوِّغ ويُبرِّر لهم التحلّلَ من الالتزام بتعاليم الشرعِ وآدابِه، أنه لا يَحِقّ لأحدٍ ـ أبًا كان أو زوجا أو مسئولا ـ أن يُلزِم مَن هم تحت مسئوليته بما فرَضه اللهُ وألزم به المسلمين، وخاصة فيما يتعلق بالهدْي الظاهر، كالحجاب ونحوه، ويجادل أحدُهم فيقول: (الدِّينُ يُعرَضُ ولا يُفرَض)، وهذا الكلامُ وأمثالُه لا يمكن أن يكون سندا ومسوِّغا لأحد من المسلمين في أن ينسلخ من الالتزام بما ألزمه الله به، وغايةُ ما يمكن أن تَدلّ عليه تلك العبارةُ وما أشبهها: أنّ الدِّين لا يُفرَض على =

ومن هذا أيضًا ما يقع فيه كثير من العَوَامّ ويقترفونه من البدع الخاصة بالأولياء والأضرحة، وبِدَع الذِّكْر، ونحو هذا، وإذا ما نَهيْتَ مَن يقعون في تلك البدع لم ينتهوا عنها، بحجة أن العالمَ الفلانيَّ، والشيخَ الفلانيَّ، والخطيبَ الفلانيَّ، يفعلون هذا، بل ويشجعونه!.

وحقّا ما يقوله ابنُ القيم: «علماءُ السوءِ جلسُوا على باب الجنَّةِ يَدْعون إليها النَّاسَ بأقوالهم، ويَدْعونهم إلى النَّار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالُهم

= أحد أن يعتنقه ابتداءً، أي إذا كان غيرَ مسلم فإننا نَعرِض عليه الدخول في دين الإسلام، ولا نُكْرِهه، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[سورة البقرة: ٢٥٦]، أمّا كلُّ مَن ولّاه الله مسئوليةً أو استرعاه رعيةً، كالأب أو الزوج أو الحاكم أو الأمير فهو مطالبٌ شرعا بأن يَحمِل كلَّ مَن هم تحت مسئوليته على طاعة أوامر الله، والانتهاء عما ألزمنا الله بتركه، كلٌّ بقدر استطاعته، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾[سورة البقرة: ٢٨٦]، والأدلة على هذا كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وما رواه عبدُ الله بنُ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا، وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (متفق عليه)، وما رواه أَنَس بنُ مالك، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ؟ حَتَّى يُسْأَلَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ» (رواه الترمذي والنسائي وابن حبان). ومِن عجيب أمرِ هؤلاء: أنهم في حين يطالبون بأن يَرفع الآباءُ والأزواج والمسئولون أيديَهم عن إلزام مَن هم في دائرة مسئوليتهم بتعاليم الشرع المأمورِ بها من الله تعالى أمرًا جازمًا؛ يؤكِّدون على ضرورة أن يقوم كلُّ مسئولٍ وراعٍ بالتمسك بالقوانين والدساتيرِ الوضعية، والعملِ على إلزام مَن هم تحت مسئوليتهم بتطبيقها تطبيقا كاملا، رضُوا أم سَخِطوا.. كَرِهوا أم أحَبّوا !! ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٩].

للنَّاس هَلُمُّوا؛ قالت أفعالُهم لا تسمعوا منهم، فلو كانَ ما دَعَواْ إليه حَقًّا كانوا أولَ المستجيبين له، فهم في الصُّورة أدِلّاء، وفي الحقيقة قُطّاع الطّرق»[101].

د ـ حرمان الداعية والدعوة من توفيق اللّه ونصره:

والداعية الذي لا يلتزم بحسن السيرة والقدوة؛ يكون عاصيًا لله، منتهكًا لمحارمه، فأنَّى له التوفيقُ والنصرُ من الله، وهو لم ينصرِ الله ؟!

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وبهذا تخسر الدعوة خسرانًا كبيرًا، حين تُحرم من المدد الإلهيِّ، والنصرِ الربانيِّ الذي لا يتنزل على العصاة المخالفين لأوامر الله، مهما كان شأنهم.

ولنتأمل جيدًا فيما قاله الله تعالى ـ حكاية عن نبيه صالح عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنۡ عَصَيۡتُهُۥ﴾ [هود: ٦٣].

ومن لم يحفظ حدود الله وشرع الله؛ كيف يظفر برعاية الله؟ وقد قال الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «احفظِ اللهَ يَحفظْك، احفظِ اللهَ تَجدْه تُجاهك»[102].

نسأل الله العفو والعافية، والتوفيق لما يحب ويرضى، ونعوذ به سبحانه من زلة القدم.

*****

(101) الفوائد، ص ٦١، دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

(102) سبق تخريجه في ص ٣٢.

الفصل الخامس
صور من القدوة على طريق الدعوة

ويطيب لنا أن نعيش في رحاب نماذج مشرقة وصور مضيئة من القدوة الصالحة، على طريق الدعوة إلى الله تعالى، وهي شَذَراتٌ متفرقة، منها ما هو مأخوذ من حياة بعض الأنبياء السابقين عليهم الصلوات والتسليم، وبعضها مأخوذ من حياة الرسول الأمين ﷺ، وبعضها مأخوذ من حياة بعض الصالحين من الأمم السابقة، وأخرى من حياة الصحابة ثم السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، حتى عصرنا الحاضر، وذلك على النحو التالي:

أولا : انقياد إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ لأمر الله:

أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام وأمَره بأن يذبح ولدَه، فَلِذَةَ كبده، فلم يتوانَ إبراهيم في تنفيذ أمر الله، الذي كان رؤيا منامية، ورؤيا الأنبياء مَظهرٌ من مظاهر الوحي، لما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «رؤيا الأنبياء في المنام وحي» [١٠٣]، وأخبر الخليلُ ابنَه

---

(103) رواه أبو بكر بن أبي عاصم؛ أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى ٢٨٧هـ) في كتاب السنة ١/ ٢٠٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى١٤٠٠هـ ١٩٨٠م. ورواه الحاكم في المستدرك، ك التفسير، تفسير سورة الصافات ٢/ ٤٣١ موقوفا على ابن عباس، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبيُّ، وابن أبي حاتم في تفسيره ١٠/ ٣٢٢١ رقم ١٨٢٣١، (تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز. السعودية، ط الثالثة ١٤١٩هـ.

إسماعيلَ بأمر الله، فلم يكن من الابن الصالح إلا الطاعة لله تعالى، ثم الطاعة لأبيه، وهكذا استسلما وانقادا لأمر الله، وسارعا في طاعته جل في علاه، فشكر الله لهما هذا الصنيع، وكافأهما في الدنيا بأن فدى إسماعيل بذبح عظيم، كما ادخر لهما في الآخرة الجزاء الحسن الجميل.

قال الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [الصافات: ١٠١ـ١١١] .

ثانيًا: حرص موسى ﷺ على الاستزادة من العلم:

ولقد ضرب نبيُّ الله موسى عليه الصلاة والسلام أروع المثل في الحرص على طلب العلم، والاغتراف من بحوره، مع التحلي بمكارم الخلق في ذلك، وتتجلى هذه الصورة المشرقة في قصته عليه السلام مع الخَضِر رضي الله عنه.

عن ابن عباس قال: حدثني أُبَيُّ بنُ كعب أنهُ سمعَ رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لي عبدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يارب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله في مِكْتل، فحيثما فَقدْتَ الحوتَ فهو ثَمّ، فأخذا حوتًا فجعله في مِكتل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشعُ بنُ نون، حتى إذا

أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، فاضطرب الحوت في المِكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربًا، وأمسك الله عن الحوت جِرْيةَ الماء[١٠٤] فصار عليه مثل الطاق[١٠٥]، فلما استيقظا نسي صاحبُه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقيةَ يومِهما وليلتِهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]. قال: ولم يجد موسى النَّصَبَ حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٤]، قال: فكان للحوت سَربًا، ولموسى ولفتاه عجبا، فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، قال: رجعا يَقُصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجلٌ مُسَجًّى ثوبا، فسلم عليه موسى، فقال الخَضِر: وأنَّى بأرضك السلام، قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتُك لتعلّمَني مما عُلِّمتَ رُشدًا، قال: ﴿لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧].

---

(104) جِرْيةَ: هِيَ بِالْكَسْرِ: حَالَةُ الجَرَيَان. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٦٥.

(105) المراد به: البناء المقوَّس كالقنطرة. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (المتوفى ١٢٧٠هـ) ٨/ ٢٩٧. تحقيق علي عبد الباري عطية. دار الكتب العلمية - بيروت. ط الأولى ١٤١٥هـ.

قال ابن عَبَّاس، رَضِي الله عَنْهُما: «أحيا اللهُ الحوتَ فاتخذ سَبيله في البَحْر سربا، وجاء فَجعل لا يلتئم عليهِ الماءُ حتَّى صار كالكُوّة»، ويروى: أن مُوسَى ويوشع اتبعا أثر الحوت وقد يبس الماء في ممَرّه فصَارَ طريقا، فأتيَا جَزِيرَة فوجدا الخَضِر قائما يصلى على طِنْفِسَة [بفَتْح الطَّاءِ وكَسْرِها، وطُنْفُسة بضَمِّ الفَاءِ، وهي البساط] خضراء على كبد البَحْر، أي وسطه. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى ٨٥٥هـ) ٢/ ١٩٤، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

يا موسى إني على علم من علم الله علّمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمك الله لا أعلمه، فقال موسى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [الكهف:٦٩]، فقال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ فَٱنطَلَقَا﴾ [الكهف: ٧٠ ، ٧١] يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يَفْجأ إلا والخَضِر قد قلع لوحًا من ألواح السفينة بالقَدُوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نَوْل، عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخرقْتَها لتُغرق أهلَها، ﴿لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا﴾ [الكهف: ٧١]، قال: ﴿أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٢]، قال: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا﴾ [الكهف:٧٣]. قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت الأولى من موسى نسيانًا. قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخَضِر: ما عِلمي وعِلمُك من عِلْم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسَۢا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٤]، قال: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٥] قال: وهذه أشد من الأولى، قال: ﴿إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ٭ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف:٧٦، ٧٧] ـ قال: مائل ـ فقام الخضر فأقامه بيده، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجرًا، قال: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾ [الكهف: ٧٨] ـ إلى قوله ـ: ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾

[الكهف: ٨٢]. قال رسول الله ﷺ: «ودِدْنا أن موسى كان صبَر حتى يقصَّ الله علينا من خبرهما» (١٠٦).

ثالثا: اجتهاد رسول الله ﷺ في عبادة الله:

عن كريب مولى ابن عباس أن عبدَ الله بنَ عباس أخبره أنه بات ليلةً عند ميمونةَ زوجِ النبي ﷺ ـ وهي خالته ـ فاضطجعْتُ في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتى إذا انتصف الليل ـ أو قبله بقليل، أو بعده بقليل ـ استيقظ رسول الله ﷺ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شَنٍّ (١٠٧) معلقةٍ فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمت فصنعْتُ مثلَ ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر. ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين. ثم خرج فصلى الصبح (١٠٨).

---

(106) رواه البخاري في ك العلم ب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم، فتح الباري ١/ ٢٦٣ رقم ١٢٢، وفي ك أحاديث الأنبياء ب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، الفتح ٦/ ٤٩٧ ـ ٤٩٩ برقمي ٣٤٠٠، ٣٤٠١، وفي ك التفسير ب وإذ قال موسى لفتاه. الفتح ٨/ ٢٦٢ رقم ٤٧٢٥، ومسلم في ك الفضائل ب من فضائل الخضر. مسلم بشرح النووي ١٥/ ١٣٥ وما بعدها رقم ٢٣٨٠.

وهناك شرح جيد ومستفيض للحديث في: عمدة القاري، لبدر الدين العيني ٢/ ١٨٩: ١٩٦.

(107) قال الخطابي: الشَّنّ: القِربة التي تبدَّت للبلاء. فتح الباري ١/ ٣٤٦.

(108) رواه البخاري في ك الوضوء ب قراءة القرآن بعد التحدث وغيره. فتح الباري ١/ ٣٤٤: ٣٤٥ رقم ١٨٤، ومسلم في ك صلاة المسافرين ب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل. شرح النووي =

وعن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح «البقرة»، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح «النساءَ» فقرأها، ثم افتتح «آل عمران» فقرأها مترسِّلاً؛ إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع، فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبًا من قيامه [109].

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يفطرُ من الشهر حتى نظنَّ أن لا يصومَ منه، ويصومُ حتى نظنَّ أن لا يفطرَ منه، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلّيًا إلا رأيتَه، ولا نائمًا إلا رأيتَه [110].

وقد مرّ بنا من قبل ما رواه المغيرةُ بنُ شعبة رضي الله عنه قال: قام النبي ﷺ حتى تَورّمَت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» [111].

رابعًا: حلمه ﷺ ورفقه بالمدعوين:

عن أبي هريرة أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء ـ قال عكرمة: أراه في دم ـ فأعطاه رسول الله ﷺ شيئًا، ثم قال: «أحسنتُ

= ٦/ ٤٥ : ٤٧ رقم ٧٦٣.

(109) رواه مسلم في ك صلاة المسافرين. ب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل. شرح النووي ٦/ ٦١ : ٦٣ رقم ٧٧٢، وأحمد ٦/ ٥٣١ رقم ٢٢٧٥٠.

(110) رواه البخاري في ك التهجد ب قيام النبي ﷺ من نومه وما نُسِخ من قيام الليل. فتح الباري ٣/ ٢٧ رقم ١٤١١.

(111) سبق تخريجه في ص ٣٧.

إليك»؟ قال الأعرابي: لا، ولا أجملْتَ، فغضب بعضُ المسلمين وهَمُّوا أن يقوموا إليه، فأشار النبي ﷺ إليهم أن «كُفّوا»، فلما قام النبي ﷺ وبلَغ إلى منزله، دعا الأعرابيَّ إلى البيت، فقال له: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلتَ ما قلتَ، فزاده رسول الله ﷺ شيئًا، فقال: «أحسنتُ إليك»؟ فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرٍ خيرًا، فقال له النبي ﷺ: «إنك كنتَ جئتنا فأعطيناك فقلتَ ما قلتَ، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يديّ حتى يذهبَ عن صدورهم، قال: فلما جاء الأعرابيُّ قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألَنا فأعطيناه فقال ما قال، وإنا قد دعوناه فأعطيناه، فزعم أنه رضي، أكذلك؟» قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله مِن أهل وعشير خيرًا، قال أبو هريرة: فقال النبي ﷺ: «إن مثَلي ومثَلَ هذا الأعرابيِّ كمثلِ رجلٍ كانت له ناقة فشردت عليه، فاتّبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورًا، فقال صاحب الناقة: خلّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفَق بها وأعلمُ بها، فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قُشام [112] الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشدَّ عليها رحْلَها واستوى عليها، ولو أنِّي أطعتكم حيث قال ما قال دخل النار»[113].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: أتى رسولَ الله ﷺ غلامٌ شابٌّ، فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فصاح به الناس وقالوا: مهْ، فقال رسول الله ﷺ: «أقروه، أدنوه»، فأتى حتى جلس بين يدي النبي ﷺ، فقال

(112) القُشام: ما يُلقَى من الطعام مما لا خير فيه. المعجم الوسيط ٢/ ٧٦٥.

(113) رواه البزار في مسنده ١٥/ ٢٩٤ رقم ٨٧٩٩.

له النبي ﷺ: «أتحبه لأمك؟» قال: لا، قال: « وكذلك الناس لا يحبون لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟» قال: لا، قال: «وكذلك الناس لا يحبون لبناتهم، أتحبه لأختك؟» قال : لا ، قال : «وكذلك الناس لا يحبون لأخواتهم، أتحبه لعمتك؟» قال: لا، قال: «وكذلك الناس لا يحبون لعماتهم، أتحبه لخالتك؟» قال: لا، قال: «وكذلك الناس لا يحبون لخالاتهم، فاكْرَهْ لهم ما تَكرَهُ لنفسك، وحِبَّ لهم ما تحب لنفسك»، فقال: يا رسول الله أُدعُ الله أن يُطهِّرَ قلبي، فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره، فقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهِّر قلبه، وحصّن فرجه»، قال: فلم يكن يلتفت إلى شيء (١١٤).

خامسًا: الثبات على الحق، وعدم التفريط في الدين، في قصة أصحاب الأخدود:

عن صُهَيْبٍ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ - إِذَا سَلَكَ - رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ

(114) أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٤٢رقم ٢١٧٠٨، والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ١٦٢ رقم ٧٦٧٩ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب ٢ / ٦١٠ رقم ١٤٥٨- وهذا لفظه -، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ١/ ١٢٩، وقال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح، المغني بهامش إحياء علوم الدين ٢/ ٣٦٣.

النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ.

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الملِك: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الملِك: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الملِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ.

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ

يَمْشِي إِلَى الملِك، فَقَالَ لَهُ الملِك: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِم السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الملِك ، فَقَالَ لَهُ الملِك: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ.

فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ.

فَأُتِيَ الملِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ»[115].

(115) رواه مسلم في ك الزهد، ب قصة أصحاب الأخدود. شرح النووي ١٨/ ١٣٠: ١٣٣ رقم ٣٠٠٥، وابن حبان في صحيحه ك الرَّقائِق ب الأَدْعِيَة ٣/ ١٥٤ رقم ٨٧٣ .

سادسًا: تحمّلُ عبدِ اللّه بنِ حذافةَ السهميِّ الشدائدَ في اللّه، وثباتهُ على الإسلام:

عن أبي رافع، قال: وجّه عمر جيشًا إلى الروم فأسروا عبد الله بن حذافة، فذهبوا به إلى ملكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال: هل لك أن تتنصّرَ وأُعطيَك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتَني جميع ما تملك، وجميع ملك العرب، ما رجعتُ عن دين محمد طرفة عين، قال: إذًا أقتلك، قال: أنت وذاك. فأمر به فصُلب، وقال للرماة: ارموا قريبًا من بدنه، وهو يَعرِض عليه ويأبى، فأنزله ودعا بقِدر، فصبّ فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما فأُلقِي فيها، وهو يَعرِض عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى، فقيل للملك إنه يبكي، فظن أنه قد جزِع، فقال: رُدّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت هي نَفْسٌ واحدة تُلقَى الساعةَ فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفُسٌ تُلقى في النار في الله.

فقال له الطاغية: هل لك أن تقبّل رأسي وأخلّيَ عنك؟ فقال له عبد الله: وعن جميع الأسرى؟ قال: نعم فقبّل رأسه وقدم بالأُسارى على عمر، فأخبره خبره، فقال عمر: حقٌّ على كل مسلم أن يقبّل رأس ابنِ حذافة، وأنا أبدأ. فقبّل رأسه[116].

سابعًا: جرأةُ الحسنِ البصريِّ في نصح الحاكم، وتركُه المحاباة في قول الحق:

روي أن عمر بن هُبيرة دعا فقهاءَ أهلِ البصرة وأهلِ الكوفة وأهلِ المدينة وأهلِ الشام وقُرّاءَها، فجعل يسألهم وجعل يكلِّم عامرَ الشعبيَّ،

(116) سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي ٢/ ١٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط الثامنة ١٤١٢هـ ١٩٨٢م.

فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علمًا، ثم أقبل على الحسن البصريِّ فسأله، ثم قال: هما هذان؛ هذا رجلُ أهلِ الكوفة ـ يعني الشعبيَّ ـ ، وهذا رجلُ أهلِ البصرة ـ يعني الحسنَ ـ، فأمر الحاجبَ فأخرجَ الناس، وخلا بالشَّعبيِّ والحسن.

فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو إنِّي أمينُ أميرِ المؤمنين على العراق وعاملُه عليها، ورجلٌ مأمورٌ على الطاعة، ابتُليتُ بالرعية ولزمني حقُّهم، فأنا أُحب حِفظَهم وتعهّدَ ما يُصلحهم من النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمرُ أجِد عليهم فيه، فأقبضُ طائفةً من عطائهم فأضعه في بيت المال، ومِن نِيّتي أن أردَّه عليهم، فيبلغ أميرَ المؤمنين أنِّي قد قبضتُه على ذلك النحو فيكتبُ إليَّ أن لا تردَّه، فلا أستطيع ردَّ أمرِه ولا إنفاذَ كتابِه، وإنما أنا رجلٌ مأمورٌ على الطاعة، فهل عليّ في هذا تبِعةٌ وفي أشباهه من الأمور، والنيّةُ فيها على ما ذكرتُ؟ قال الشعبيُّ: فقلتُ أصلح الله الأمير، إنما السلطان والد يُخْطئ ويصيب، قال: فسُرَّ بقولي وأُعجِب به، ورأيتُ البِشْر في وجهه وقال: فلله الحمد.

ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعتُ قولَ الأمير يقول: إنه أمينُ أميرِ المؤمنين على العراق، وعاملُه عليها، ورجلٌ مأمورٌ على الطاعة، ابتليتُ بالرعية، ولزمني حقُّهم، والنصيحةُ لهم والتعهّدُ لما يُصلِحهم، وحقُّ الرعيةِ لازمٌ لك، وحقٌّ عليك أن تَحوطَهم بالنصيحة، وإنِّي سمعتُ عبدَ الرحمن بنَ سمرة القرشيَّ صاحبَ رسولِ الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استُرعِي رعيةً فلم يَحُطْها بالنصيحة

حرّم الله عليه الجنة»[117]، ويقول: إنِّي ربّما قبضْتُ مِن عطائهم إرادةَ صلاحِهم واستصلاحِهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيَبْلغُ أميرَ المؤمنين أنِّي قبضتُها على ذلك النحو فيكتبُ إليّ أن لا تردَّه، فلا أستطيع ردَّ أمرِه ولا أستطيع إنفاذَ كتابه، وحقُّ الله ألزمُ مِن حق أميرِ المؤمنين، واللهُ أحقُّ أن يُطاع، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فاعرِضْ كتابَ أميرِ المؤمنين على كتاب الله ـ عز وجل ـ، فإن وجدْتَه موافقًا لكتاب الله فخُذ به، وإن وجدْتَه مخالفًا لكتاب الله فانْبِذْه.

يا ابن هُبيرة اتقِ الله! فإنه يوشك أن يأتيَك رسولٌ مِن ربّ العالمين يُزيلُك عن سريرك ويُخرجُك مِن سَعة قَصْرِك إلى ضيق قبرِك، فتدع سلطانَك ودنياك خلْفَ ظهرِك، وتَقْدُم على ربك، وتَنزِل على عملك؛ يا ابن هُبيرة إن الله لَيمْنعُك مِن «يزيدَ»، ولا يمنعك «يزيدُ» من الله، وإنّ أمْر الله فوقَ كلِّ أمر، وإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله، وإنِّي أُحذّرك بَأْسَه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين.

---

(117) ـ **أخرجه أبو بكر الدينوريُّ** أحمدُ بنُ مروان المالكيُّ (المتوفى ٣٣٣هـ)، في كتاب المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٩٩ رقم ٢٣٤، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية - البحرين ١٤١٩هـ، بلفظ «مَا اسْتَرْعَى اللهُ عَبْدًا رَعِيَّةً فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ؛ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، **والقضاعيُّ**؛ أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون المصري (المتوفى ٤٥٤هـ) في مسند الشهاب ٢/ ٢١ رقم٨٠٤، تحقيق حمدي عبد المجيد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، **وأخرجه البخاريُّ** في صحيحه من حديث معقل بن يسار بلفظ قريب، ك الأَحْكَام ب مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يَنْصَحْ ٩ / ٦٤ رقم ٧١٥٠ (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، عَنِ الحَسَنِ، أَنَّ عُبَيْدَ الله بْنَ زِيَادٍ، عَادَ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؛ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ».

فقال ابن هُبيرة: ارْبَعْ على ظَلْعِكَ أيها الشيخ[118]، وأَعرِضْ عن ذِكْر أميرِ المؤمنين، فإنّ أميرَ المؤمنين صاحبُ العلم وصاحبُ الحُكم وصاحبُ الفضلِ، وإنما ولّاه اللهُ تعالى ما ولّاه مِن أَمْر هذه الأمةِ لِعِلمه به وما يَعْلمُه من فضله ونيته.

فقال الحسن: يا ابن هُبيرة، الحسابُ مِن ورائك، سَوطٌ بسوْط وغضَبٌ بغضب واللهُ بالمرصاد، يا ابن هُبيرة: إنك إن تَلْقَ مَن يَنْصحُ لك في دينك ويَحْمِلك على أَمْر آخرتِك خيرٌ مِن أن تَلْقَى رجلاً يَغُرّك ويُمَنِّيك.

فقام ابن هبيرة وقد بَسَر وجهَه[119]، وتغير لونُه.

قال الشعبيُّ: فقلت: يا أبا سعيد أغضبْتَ الأميرَ وأوغرْتَ صدرَه وحرَمْتنا معروفَه وصِلتَه، فقال: إليك عنِّي يا عامر، قال: فخرجَتْ إلى الحسن التحفُ والطُّرف وكانت له المنزلة، واستُخِفّ بنا وجُفِينا فكان أهلاً لما أُدِّي إليه، وكنا أهلا أن يفعل ذلك بنا.

فما رأيتُ مثلَ الحسن فيمن رأيتُ من العلماء إلا مثلَ الفَرِس العربيِّ بين المُقَارِفِ[120]، وما شهدْنا مشهدًا إلا بَرَز علينا، وقال الله عز وجل، وقلنا

---

(118) ارْبَعْ على ظَلْعِكَ، أَي: إنَّكَ ضَعيفٌ، فانتَهِ عَمَّا لَا تُطيقُه. تاج العروس ٢١/ ٤٧٠، وَقِيلَ: أَصل قَوْلِهِ (ارْبَعْ عَلَى ظَلْعِكَ): مِنْ رَبَعْتُ الحجَر إِذا رَفَعْتُه، أَي ارْفعْه بِمِقْدَارِ طَاقَتِكَ، هَذَا أَصله ثُمَّ صَارَ الْمَعْنَى ارْفُقْ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا تُحَاوِلُهُ، والظَّلْع، بِالسُّكُونِ: العَرَجُ. لسان العرب، (٨/ ٢٤٤، دار صادر – بيروت، ط الثالثة ١٤١٤هـ).

(119) بَسَرَ: عَبَسَ أَو أَظْهَر شِدَّتَه، ونَظَرَ بكَرَاهةٍ شديدةٍ، وبَسَرَ الرجلُ وَجْهَه بُسُوراً، أَي كَلَحَ. تاج العروس١٠/ ١٧٢.

(120) ـ الخيولُ الْمَقَارِفِ ـ بفتح الميم ـ: جمع مُقرِف ـ كمُحسِن ـ ما يُداني الهُجْنة، أي أُمُّه عربية لا أبوه؛ لأن الإقراف يكون من قِبَل الفَحْل، والهُجْنةَ تكون من قِبَل الأم. (الروض الأنف، للسهيلي ١/ ٢٤٠ من حاشية المحقق)، فالفرَس المُقْرِف:هو ما كان أبوه غيرَ عربيٍّ، ويقابله الهجين.

مقاربة لهم.

قال عامر الشعبي: وأنا أُعاهِد اللهَ أن لا أشهدَ سلطانًا بعد هذا المجلسِ فأُحابِيَه [١٢١].

ثامنًا: إنصاف المأمون لامرأة في مظلمة من ابنه العباس:

حُكي أن المأمون كان يجلس للمظالم في يوم الأحد، فنهض ذات يوم من مجلس نظره، فلقيَتْه امرأةٌ في ثياب رَثّة، فقالت:

يا خير مُنتصِفٌ يُهدَى له الرشد ... ويا إمامًا به قد أشرق البلد

تشكو إليك عميدَ الملك أرملةٌ ... عدا عليها فما تقوى به أسد

فابتز منها ضِياعًا بعد مَنْعتها ... لما تفرق عنها الأهل والولد

فأطرق المأمون يسيرًا، ثم رفع رأسه وقال:

من دون ما قلتِ عيل الصبر والجلد ... وأقرح القلبَ هذا الحزنُ والكمد

هذا أوان صلاة الظهر فانصرفي ... وأحضري الخصم في اليوم الذي أَعِد

المجلس السبت إن يُقض الجلوس لنا ... أنصفك منه، وإلا المجلس الأحد

فانصرفَتْ، وحضرت يوم الأحد في أول الناس، فقال لها المأمون: مَن خصمك؟ فقالت: القائم على رأسك، العباس ابن أمير المؤمنين، فقال المأمون لقاضيه يحيى بن أكثم، وقيل لوزيره أحمد بن أبي خالد: أجلِسْها معه، وانظر بينهما، فأجلَسَها معه ونظر بينهما بحضرة المأمون، وجعل كلامُهما يعلو، فزجرها بعض حُجّابه، فقال له المأمون: دعها، فإن الحق

(121) إحياء علوم الدين ٢/ ٣٧٥ : ٣٧٦.

أنطقها والباطلَ أخرسه، وأمر بردّ ضِياعِها عليها [١٢٢].

تاسعًا: صبر المحدّث الشيخ «أحمد عبد الرحمن البنا» على استشهاد ولده الإمام «حسن البنا»:

تعرضت الدعوة الإسلامية في العصر الحديث لمحنة قاسية، حين سقط فارسٌ من فرسانها الذين لا يُشقّ لهم غبار، واغتيل بطلٌ من أبطالها الشجعانِ في الميدان، وهو الإمام «حسن البنا» رحمه الله، وكانت المحنة قاسيةً أشدَّ ما تكون القساوةُ على الأب الثكْلانِ الحزين، الذي كان شيخًا كبيرًا، قد نالت من جسمه السنون، وقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيبًا، حيث إنه ـ كما يقول الدكتور محمد رجب البيومي ـ: «امتُحِن باستشهاد فَلِذة كبده، وأكبرِ أبنائه، ولم يكن الابن فردًا من الأفراد، ولكنه كان (ولا يزال) أعظمَ من عرفَتْ مصر أثرًا في النهوض بالإسلام، ورفع رايته حتى تعودَ له قوته الماضية، وتشرقَ شمس عزته من جديد؛ لقد كان اغتيال الشهيد العظيم زلزالاً رهيبًا أوقع الهول في كل منزل يعرف حقيقة المأساة الفاجعة التي نزلت بالمسلمين يوم صعدت روحه إلى بارئها العظيم، تشكو إليه طغيان الفجور، وعتو الطاغوت» [١٢٣].

ولقد واكب استشهادَ الشيخ «حسن البنا» فظائعُ تجعل القلوب تطير

---

(122) الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تأليف على بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ص٧٥: ٧٦. دار الفكر، مصر ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

(123) العلامة المحدث الأمين أحمد عبد الرحمن البنا. د/ محمد رجب البيومي، مجلة منبر الإسلام ص ١٢٣، تصدها وزارة الأوقاف بمصر. السنة ٥٨ العدد ٤، ربيع الآخِر ١٤٢٠هـ يوليو ـ أغسطس ١٩٩٩م.

هلعًا، لولا القوة الإيمانية التي أمدّ الله بها والدَه العالمَ الربّانيَّ الشيخَ «أحمدَ عبد الرحمن»، فقد جيء له بالجثمان في جنح الظلام، ومُنِع أَيُّ أحدٍ من الاقتراب من المكان، فقام الأبُ المكلومُ بتغسيل ابنه، ثم منَع الطواغيت أيَّ شخصٍ من المشاركة في الجنازة، بل ولا حَمِلِها، فحمَلَها الشيخ المبتَلى مع ثلاثٍ من النساء، كانوا هم كلَّ مَن يسير في الجنازة، بالإضافة إلى صبيٍّ في الرابعة عشرة من عمره هو ابن الشهيد، ولما وصلت الجنازة إلى مسجد قيسون بالقاهرة، لم يكن أحد هناك حيث أُخلِي المسجد من كل أحد، حتى العمال والخدم، فصلَّى الشيخُ على ابنه ومعه النساء اللاتي كنّ يَحمِلن النعش، ومُنِع الناس من العزاء، فكان بلاء عظيمًا يستقطر الدموع من الصخور الصماء [١٢٤].

وقد كتب الشيخ «أحمد عبد الرحمن البنا» والدُ الشهيد، في العدد الرابع من مجلة الدعوة، الصادرة في ١٣ فبراير ١٩٥١م، بعنوان: (ولدي «الشهيد»)، فقال:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ـ في قصة موتِ إبراهيمَ ابنِ النّبيِّ ﷺ ـ قال: فجاء رسولُ الله ﷺ «فدعا بالصبي فضمه إليه»، قال أنس: فلقد رأيتُه بين يدَي رسولِ الله ﷺ وهو يجود بنفسه، فدمعَت عينا رسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم. قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله

(124) يراجَع في هذا: النقط على الحروف، أحمد عادل كمال ص ٣٠٢ وما بعدها، الزهراء للإعلام العربي- القاهرة، ط الثانية ١٤٠٩هـ ٩٨٩م، حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية. عباس السيسي ص ٢٩٤ وما بعدها، دار الدعوة - الإسكندرية، ط الثانية.

وصحبه وسلَّم: «تَدمَع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يُرضِي ربَّنا عز وجل، والله إنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[١٢٥].

تتمثل لي يا ولدي الحبيبِ في صورتين: صورة وأنت رضيع لم تتجاوز الستة شهور، وقد استغرقْتَ مع والدتك في نوم عميق، وأعود بعد منتصف الليل من مكتبي إلى المنزل، فأرى ما يُروِّع القلبَ ويَهزّ جوانب الفؤاد؛ أفعى مروِّعةً قد التفّت على نفسها وجثمت بجوارك، ورأسُها ممدود إلى جانب رأسك، وليس بينها وبينَك مسافةٌ يُمْكن أن تقاس!!.

وينخلع قلبي هلعًا فأضرع إلى ربي وأستغيثه فيُثبِّت قلبي ويُذهِب عني الفزع، وينطق لساني بعبارات واردة في الرقية من مسّ الحيةِ وأذاها حتى تنكمشَ الحية على نفسها، وتعودَ على نفسها، وتعودَ إلى جحرها، ويُنجيَك الله يا ولدي من شرها، لإرادة سابقةٍ في عِلمه، وأمْرٍ هو فيك بالِغُه.

وأتمثلك يا ولدي وأنت صريع وقد حُمِلْتَ في الليل مسفوكًا دمك، ذاهبةً نفسك، ممزقةً أشلاؤك، هابت أذاك حياتُ الغاب، ونهشت جسدَك حياتُ البشر!! فما هي إلا قدرة من الله وحده تُثبِّت في هذا الموقف، وتعين على هذا الهول وتساعد في هذا المصاب، فأَكشفُ عن وجهك الحبيبِ فأرى فيه إشراقة النور وهناءة الشهادة، فتدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا عز وجل ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٦]، وأقوم يا ولدي على غسلك وكفنك، وأصلي وحدي من البشر عليك،

---

(125) ـ رواه مسلم في صحيحه، ك الفَضائِل ب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيانَ والعِيالَ ٤/ ١٨٠٧ رقم ٢٣١٥، (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت)، وأبو داود في سننه، ك الجنائز ب في البكاء على الميت ٣/ ١٩٣ رقم ٣١٢٦، وأحمد ٢٠/ ٣١٦ رقم ١٣٠١٤.

وأمشي خلفك أحمل نصفي ونصفي محمول، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤].

أمّا أنت يا ولدي فقد نِلْتَ الشهادة التي كنتَ تسأل الله تعالى في سجودك أن يُنِيلَك إياها فهنيئًا لك بها، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يَدخل الجنةَ يحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد؛ فإنه يتمنى أن يَرجِعَ إلى الدنيا فيُقتلَ عشرَ مرات لما يرى من الكرامة».

اللهم أكرم نُزُلَه وأعْلِ مرتبتَه، واجعل الجنة مثواه ومستقرَّه، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله، وبلِّغْه أملَه من القرب من رسول الله ﷺ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وأمّا أنتم يا من عرفتم ولدي واتبعتم طريقه: إن خير ما تُحْيون ذكراه أن تَنسجوا على منواله وتترسموا خطاه، فتتمسكوا بآداب الإسلام وتعتصموا بحبل الأُخوّة، وتخلصوا العمل والنية لله.

وأوصيكم أن تكونوا صورة صادقة لسيرة ولدي رحمه الله، لا تبتغون من الناس جزاء، ولا تخشون غير الله رَبًّا، ولا تُضمِرون لأحد شرًّا أو أذى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصّلت: ٣٣ ـ ٣٥] (١٢٦).

(126) النقط على الحروف ص ٣١١ ـ ٣١٢.

عاشرًا: جرأة الشيخ «حسنين الحصافي» في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

كان الشيخ «حسنين الحصافي» ـ رحمه الله ـ من علماء الأزهر الشريف الذين لهم جهد كبير في الدعوة إلى الله تعالى، حتى توفي عام ١٣٢٨هـ، وكانت له ـ رحمه الله تعالى ـ مواقف عظيمة في الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، تتميز بالجرأة في قول الحق والاحتساب، ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ويَروِي الإمام الشهيد «حسن البنا» جانبًا من سيرة الشيخ «الحصافي»، وبعضَ مواقفه في الأمرِ بالمعروف والنهيِ عن المنكر، فيقول[١٢٧]:

وكان أعظم ما أخذ بمجامع قلبي وملَك عليّ لُبِّي من سيرته ﷺ شدته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يدَع الأمرَ والنهيَ مهما كان في حضرة كبير أو عظيم.

ومن نماذج ذلك أنه زار رياض باشا حين كان رئيسَ الوزارة، فدخل أحد العلماء وسلّم على الباشا وانحنى حتى قارب الركوع، فقام الشيخ مغضَبًا وضربه على خدّيْه بمجمع يده، ونهَره بشدة قائلاً: استقِم يا رجل فإن الركوع لا يجوز إلا الله، فلا تُذِلّوا الدينَ والعلمَ فيُذِلَّكم الله، ولم يستطع العالم ولا الباشا أن يؤاخذه بشيء.

ودخل أحد الباشوات من أصدقاء رياض باشا وفي إصبعه خاتم من الذهب، وفي يده عصا مِقبضها من الذهب كذلك، فالتفت إليه الشيخ

---

(127) مذكرات الدعوة والداعية، للإمام الشهيد حسن البنا ص ٢١ ـ ٢٢. دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة.

وقال: يا هذا إن استعمال الذهب في الحِلْية هكذا حرام على الرجال حِلٌّ للنساء، فأعط هذا لبعض نسائك، ولا تخالف عن أمر رسول الله ﷺ، وأراد الرجل أن يعترض، فتدخل رياض باشا وعرّف بعضهما ببعض، والشيخ مُصِرٌّ على أنه لابد من خلع المقبض والخاتم معا حتى يزول هذا المنكر.

ودخل مرة على الخديوي توفيق باشا مع العلماء في بعض المقابلات فسلّم على الخديوي بصوت مسموع، فردّ عليه الخديوي بالإشارة بيده، فقال له في عزم وتصميم: «رَدُّ السلام يكون بمثله أو بأحسن منه، فقل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، والردُّ بالإشارة وحدها لا يجوز»، فلم يسَع الخديوي إلا أن يردَّ عليه باللفظ، وثنَّى على موقفه وتمسُّكِهِ بدينه.

وزارة مرةً بعضَ مريديه من الموظفين في بعض دوائر المساحة، فرأى على مكتبه بعضَ تماثيلَ من الجبس، فسأله: ما هذا يا فلان؟ فقال: هذه تماثيل نحتاج إليها في عملنا، فقال: إن ذلك حرام، وأمسك بالتمثال وكسر عنقه، ودخل المفتش الانجليزي في هذه اللحظة ورأى هذا المنظرَ، فناقش الشيخَ فيما صنع، فردّ عليه ردًّا جميلاً، وأفهمه أن الإسلام إنما جاء ليقيم التوحيد الخالص، وليقضيَ على كل مظهر من مظاهر الوثنية في أية صورة من صورها، ولهذا حرَّم التماثيل حتى لا يكون بقاؤها ذريعة لعبادتها، وأفاض في هذا المعنى بما طَرِب له المفتش الذي كان يظن أن في الإسلام لوثة من الوثنية، وسلَّم للشيخ وأثنى عليه.

وزار مسجد الحسين رضي الله عنه مع بعض مريديه، ووقف على

القبر يدعو الدعاء المأثور: «السلام على أهل الديار من المؤمنين»، فقال له بعض المريدين: «يا سيدنا الشيخ سَلْ سيدَنا الحسينَ يرضى عني»، فالتفت إليه مغضبًا، وقال: «يرضى عنا وعنك وعنه الله»، وبعد أن أتم زيارته شرح لإخوانه أحكام الزيارة، وأوضح لهم الفرق بين البدعية والشرعية منها.

وحدثني الوالد أنه اجتمع بالشيخ رحمه الله في منزلِ وجيهٍ من وجهاء المحمودية، هو حسن بك أبو سيد حسن رحمه الله، مع بعض الإخوان، فدخلت الخادمة، وهي فتاة كبيرة، تقدم له القهوة وهي مكشوفة الذراعين والرأس، فنظر إليها الشيخ مغضبًا، وأمرها بشدة أن تذهب فتستتر، وأبى أن يشرب القهوة، وألقى على صاحب المنزل درسًا مؤثّرًا في وجوب احتشام الفتيات وإن كن خدمًا، وعدِم إظهار الرجال الأجانب عليهن.

وله رحمه الله في ذلك أمور في غاية الكثرة والدقة معًا، وكذلك شأنه دائمًا . أ. هـ.

تلك صور مضيئة من القدوة على طريق الدعوة، ولولا ضيق المقام لسجلنا صورًا أخرى، حفل بها ميدان الدعوة إلى الله، وحسبنا هنا ما ذكرنا، ونسأل الله الهدى والسداد، والتوفيق والرشاد، وأن يرزقنا السير على نهج أولئك الصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

*****

المراجـــع

* القرآن الكريم .. سبحان مَن نزَّله.

١ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية. تأليف علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي. دار الفكر- مصر ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م.

٢ ـ إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي. دار الريان - القاهرة. ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٣ ـ أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي. تحقيق محمد أبو بكر. الدار المصرية اللبنانية - القاهرة. ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٤ ـ الأدب المفرد، للإمام البخاري. طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الإمارات العربية.

٥ ـ أصول الفكر التربوي في الإسلام. د/ عباس محجوب. جامعة الإمارات ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٦ ـ اقتضاء العلم والعمل. الخطيب البغدادي. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت. ط الخامسة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

٧ ـ البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير. تحقيق د/ أحمد أبو ملجم وآخرين، دار الريان للتراث. القاهرة. ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٨ ـ تفسير القرآن العظيم. للحافظ ابن كثير. دار الغد العربي - القاهرة. ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.

٩ـ تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى ٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية، ط الثالثة ١٤١٩هـ.

١٠ ـ تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري. تحقيق عبد السلام هارون، محمد علي النجار. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١١ ـ الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
١٢ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، حققه: محمد أجمل الإصْلاَحي، خرج أحاديثه زائد بن أحمد النشيري، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط الأولى ١٤٢٩هـ
١٣ ـ حتى يعلم الشباب. عبد الله ناصح علوان. دار السلام - القاهرة. ط الخامسة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١٤ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة محمود الآلوسي البغدادي. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٥ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (المتوفى ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط الأولى ١٤١٢هـ.
١٦ ـ سنن أبي داود. الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. تحقيق صدقي محمد جميل. دار الفكر - بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٧ ـ سنن ابن ماجه. الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر.
١٨ ـ سنن الترمذي. الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة. تحقيق صدقي محمد جميل العطار، عبد القادر عرفان. دار الفكر - بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١٩ ـ سنن الدارمي، الحافظ عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، تحقيق فؤاد أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي. دار الكتاب العربي - بيروت. ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٠ ـ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي. دار الحديث. القاهرة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م.
٢١ ـ سير أعلام النبلاء. للإمام الذهبي. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة – بيروت. ط الثامنة ١٤١٢هـ ١٩٨٢م.
٢٢ ـ السيرة النبوية لابن هشام. تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الوفاق – بيروت .
٢٣ـ شرح السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى ٥١٦هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٢٤ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى ٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثانية ١٤١٤ هـ ١٩٩٣م.
٢٥ ـ صحيح مسلم بشرح النووي. دار الريان – القاهرة.
٢٦ ـ العبادة في الإسلام. د / يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة – بيروت. ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.
٢٧ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٨ ـ العلامة المحدث الأمين أحمد عبد الرحمن البنا. د/ محمد رجب البيومي، مقال منشور بمجلة منبر الإسلام ـ تصدرها وزارة الأوقاف المصرية. السنة ٥٨، العدد ٤، ربيع الآخِر ١٤٢٠هـ يوليو / أغسطس ١٩٩٩م.
٢٩ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار الريان – القاهرة. ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٣٠ ـ فقه الدعوة الفردية. د/ علي عبد الحليم محمود. دار الوفاء بالمنصورة. ط الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٣١ـ الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط الثانية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٣٢ ـ في ظلال القرآن. سيد قطب. دار الشروق – بيروت. ط الثانية عشرة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٣٣ ـ القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣٤ ـ كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت. ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٣٥ ـ لسان العرب. محمد بن مكرم بن على، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى (المتوفى ٧١١هـ). دار المعارف – مصر. وطبعة دار صادر – بيروت.
٣٦ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. دار الكتاب العربي – بيروت. ط الثالثة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
٣٧ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي. الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
٣٨ ـ مذكرات الدعوة والداعية. للإمام الشهيد حسن البنا. دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة.
٣٩ ـ المستدرك على الصحيحين. للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري. وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي. دار المعرفة – بيروت.
٤٠ ـ المسند، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

ط الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٤١ـ مسند البزار ـ (البحر الزخار)ـ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار (المتوفى ٢٩٢هـ)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وآخرَيْن، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط الأولى ٢٠٠٩م.
٤٢ـ المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق عوض الله، عبد المحسن إبراهيم ، دار الحرمين - القاهرة.
٤٣ـ المعجم الكبير؛ سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني (المتوفى ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط الثانية.
٤٤ ـ معجم مقاييس اللغة. لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل - بيروت. ط الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م.
٤٥ ـ المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة. ط الثانية.
٤٦ ـ من أساليب الدعوة في القرآن والسنة. الأساليب العقدية. د/ أبو المجد السيد يوسف نوفل ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٤٧ ـ النقط على الحروف. أحمد عادل كمال. الزهراء للإعلام العربي - القاهرة. ط الثانية ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
٤٨ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري بن الأثير (المتوفى ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٤٩ ـ هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة. على محفوظ. دار الاعتصام.

*****

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد: مفهوم القدوة والدعوة	٧
أولا: القدوة	٧
ثانيا: الدعوة إلى الله تعالى	٩
الفصل الأول: وجوب التزام الداعية بأن يكون قدوة	١١
وجوب تحلِّي الداعيةِ بالقدوة شرعًا	١١
وجوب تحلِّي الداعيةِ بالقدوة عقلاً	٢١
الفصل الثاني: أهم مجالات القدوة في حياة الداعية	٢٧
مـدارُ القـدوة في حيـاة الداعيـة عـلى أمـرين: إصـلاحِ الـنَّفْسِ، ودعوةِ الغيرِ	٢٧
أولاً: الإيمان أو العقيدة	٣٠
ثانيًا: العبادة	٣٣
ثالثًا: الأخلاق	٣٨
رابعـا: الهمـةُ العاليـة في العمـلِ للإسـلام، والـدعوةِ إليـه عـلى بصيرة	٤١
الفصل الثالث: الأسباب المعينة للداعية على التحقق بالقدوة	٤٥
أولاً: اللجوء إلى الله والاستعانة به سبحانه	٤٥
ثانيًا: الإخلاص ومراقبة الله تعالى	٤٧
ثالثًا: مصاحبة ذوي التقى والصلاح، واستنصاحهم	٤٨
رابعًا: استحضار الجزاء من الله تعالى	٥٠

الموضـــــــــــوع	الصفحة
خامسًا: استحضارُ الداعيةِ أنه عنوانٌ لدعوته ومحطُّ أنظار الناس	٥١
سادسًا: المطالعة في سير الدعاة العاملين، والإكثار من قراءة أخبارهم	٥٢
سابعًا: مجاهدة النفس	٥٤
الفصل الرابع: أثر القدوة في الدعوة إلى الله تعالى	٥٧
أولاً: من آثار القدوة الصالحة	٥٧
أ ـ إرضاءُ الله تعالى، والفوزُ بمثوبته	٥٧
ب ـ نيلُ احترامِ المدعوّين، وكسبُ ثقتهم	٥٨
ج ـ قوةُ التأثير في المدعوّين وإقبالُ الناسِ على الدعوة	٦٠
د ـ تثبيتُ الناسِ على الحق	٦٤
هـ ـ توريثُ القدوةِ الحسنةِ على طريق الدعوة	٦٥
من مشايخنا الذين كانوا قدوة حسنة على طريق الدعوة	٦٦
و ـ إثباتُ واقعيةِ مبادئِ الإسلامِ وقابليتِها للتطبيق	٦٨
ز ـ السعادةُ النفسيةُ والطمأنينةُ القلبيةُ للداعية	٧٠
ثانيًا: من آثار غياب القدوة الحسنة	٧٢
أ ـ إغضابُ الله تعالى	٧٢
ب ـ قلةُ احترامِ المدعوين للداعية، وضعفُ تأثيرِه فيهم	٧٣
ج ـ فتنةُ الناسِ، والصدُّ عن سبيل الله	٧٥
د ـ حرمانُ الداعيةِ والدعوةِ من توفيق الله ونصرِه	٧٨
الفصل الخامس: صورٌ من القدوة على طريق الدعوة	٧٩
أولاً: انقيادُ إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ لأمر الله	٧٩

الموضـــــــــــوع	الصفحة
ثانيًا: حرصُ موسى عليه السلام على الاستزادة من العلم	٨٠
ثالثًا: اجتهادُ رسولِ الله ﷺ في عبادة الله	٨٣
رابعًا: حِلمُه ﷺ ورفقُه بالمدعوين	٨٤
خامسًا: الثباتُ على الحقِّ، وعدمُ التفريطِ في الدين، في قصة أصحاب الأخدود	٨٦
سادسًا: تحمُّلُ عبدِ الله بنِ حذافةَ السهميِّ الشدائدَ في الله، وثباتُه على الإسلام	٨٩
سابعًا: جرأةُ الحسنِ البصريِّ في نصح الحاكم، وتركُه المحاباةَ في قول الحق	٨٩
ثامنًا: إنصافُ المأمونِ لامرأةٍ ـ في مظلمة ـ مِن ابنه العباس	٩٣
تاسعًا: صبرُ الشيخِ المحدِّثِ «أحمد عبد الرحمن البنا» على استشهاد ولده الإمام «حسن البنا»	٩٤
عاشرًا: جرأةُ الشيخِ «حسنين الحصافي» في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٩٨
المراجع	١٠١
فهرس الموضوعات	١٠٧

*****

المــؤلف

أ.د/ إسماعيل علي محمد علي.

* أستاذ ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ــ جامعة الأزهر.

* من مواليد عام ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م، في قرية " كفر حماد "، مركز" كفر صقر"، محافظة الشرقية. مصر.

* حفظ القرآن الكريم ــ صغيرا ــ في كُتّاب القرية، ثم التحق بالأزهر الشريف، إلى أن تخرّج من كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ــ جامعة الأزهر ــ عام ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م.

* نال درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالقاهرة ــ جامعة الأزهر عام ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م.

* تدرّج في العمل الأكاديمي الجامعي إلى أن حصل على درجة "أستاذ" عام ٢٠٠٥م، ثم رئيسا لقسم الدعوة والثقافة الإسلامية، في كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة عام ٢٠٠٨م.

* أستاذ في جامعة الأزهر، وفي معاهد إعداد الدعاة بوزارة الأوقاف، والجمعية الشرعية في مصر، كما عمل بالتدريس في كلية الشريعة ــ جامعة الملك خالد ــ السعودية.

* عضو محكَّم في اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين، في جامعة الأزهر.

* بلغ عدد رسائل الماجستير والدكتوراه والبحوث العلمية المحكَّمة، التي أشرف عليها أو ناقشها أو حكَّمها حوالي ثلاثين رسالة وبحثا.

* عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة.
* زار بعض الدول مثل أمريكا، ولبنان، والإمارات، وإفريقيا، وشارك في أنشطة دعوية وعلمية فيها، كما أنّ له إسهامات من خلال الخطابة والندوات والمؤتمرات، والكتابة في الصحف والمجلات، والمواقع الإلكترونية، والفضائيات.
* صدر له عدد من البحوث والمؤلفات، منها:
١ ـ الغزو الفكري .. التحدي والمواجهة.
٢ ـ مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية.
٣ ـ الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم .. مظاهره وآثاره.
٤ ـ الاستشراق بين الحقيقة والتضليل .. (مدخل علمي لدراسة الاستشراق). ٥ ـ فن الخطابة ومهارات الخطيب.
٦ ـ مفتريات المستشرقين وعملائهم على الإسلام. [رد على كتاب (محمد واليهود نظرة جديدة)].
٧ ـ أساطير عبد الصبور شاهين حول أبيه آدم. [رد على كتاب (أبي آدم قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة) للدكتور عبد الصبور شاهين]. ٨ ـ القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.
٩ ـ معالم الحياة الراشدة في بلاغ حجة الوداع.
١٠ـ العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها .
١١ـ الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية.
١٢ـ الأُخوّة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية.
١٣ ـ فقه الدعوة في ضوء موقف " جعفر بن أبي طالب " أمام " النجاشي ". ١٤ ـ صور من حقوق الطفل في الإسلام.
١٥ ـ فن كتابة الثقافة الإسلامية للطفل .
١٦ ـ الضوابط الأخلاقية المتعلقة بحقوق التأليف.

القدوةُ الصالحةُ من أهمّ وسائل نشر الإسلام وتبليغه، وتعليمه، والداعيةُ المسلمُ عنوانٌ لدعوته، وسفيرٌ لدينه في كل مكان، والناسُ دائماً يجعلونه محلَّ نظرِهم ومراقبتِهم، وليس شيءٌ أجملُ في نظر المدْعُوّين من سلوك داعيةٍ عاملٍ بالإسلام، مطَبِّقٍ لما يدعو إليه، فإذا كان الداعية متحلِّيًا بحسن القدوة؛ فقد حاز رضا الله، وأحبّه الناس ووقّروه، وأقبلوا عليه وعلى دعوته، وإلا سقط من أعينهم، ونفَروا منه، وحلّ عليه سخط الله، وكَسَدت دعوتُه كَساداً شنيعاً.

والإسلام اليومَ أحوجُ ـ من أيّ عصرٍ مضى ـ إلى دعاة صالحين؛ تتجسد فيهم، ومن خلال سلوكهم وتصرفاتهم مبادئُ الدين الذي يدعون إليه، ومضامينُ الدعوة التي يعملون في ميدانها، كي تتبددَ معالمُ الصورةِ الشائهةِ التي حاول خصوم الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج أن يرسموها للإسلام، وليحوِّلوا ـ من خلال التزامِهمُ العمليِّ بالدين الحنيف ـ مبادئَه الساميةَ من حيّز التجريد والنظرية، إلى واقع التطبيق والنماذج العملية، فيُثبِتوا للناس قابليةَ مبادئِ الإسلام، وصلاحيةَ منهجِه للتطبيق، وجدارتَه بإسعاد البَشر.

المؤلِّف

القدوةُ الصالحةُ من أهمّ وسائل نشر الإسلام وتبليغه، وتعليمه، والداعيةُ المسلمُ عنوانٌ لدعوته، وسفيرٌ لدينه في كل مكان، والناسُ دائماً يجعلونه محلَّ نظرِهم ومراقبتِهم، وليس شيءٌ أجملُ في نظر المدْعُوّين من سلوك داعيةٍ عاملٍ بالإسلام، مطَبِّقٍ لما يدعو إليه، فإذا كان الداعية متحلِّيًا بحسن القدوة؛ فقد حاز رضا الله، وأحبّه الناس ووقّروه، وأقبلوا عليه وعلى دعوته، وإلا سقط من أعينهم، ونفَروا منه، وحلّ عليه سخط الله، وكَسَدت دعوتُه كَساداً شنيعاً.

والإسلام اليومَ أحوجُ ـ من أيّ عصرٍ مضى ـ إلى دعاة صالحين؛ تتجسد فيهم، ومن خلال سلوكهم وتصرفاتهم مبادئُ الدين الذي يدعون إليه، ومضامينُ الدعوة التي يعملون في ميدانها، كي تتبددَ معالمُ الصورةِ الشائهةِ التي حاول خصوم الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج أن يرسموها للإسلام، وليحوِّلوا ـ من خلال التزامِهمُ العمليِّ بالدين الحنيف ـ مبادئَه الساميةَ من حيّز التجريد والنظرية، إلى واقع التطبيق والنماذج العملية، فيُثبِتوا للناس قابليةَ مبادئِ الإسلام، وصلاحيةَ منهجِه للتطبيق، وجدارتَه بإسعاد البَشر.

المؤلِّف

مطبعة الشروق بالراهبين
٠١٠٠٣٦٢٢٥٧٥ - ٠١١٢٣٦٨٩٨٣٦